
٥٩٥٠

٩٥٣ الروضة الأنسيه فى السيره القدسيه للسويد، امين
ر.س بن على .. كان حيا سنة ١٣٤٤هـ • بخط حسن
بن يوسف سنة ١٣٣٨هـ •

٤٧ق ٢١س ٢١ x ١٧سم
نسخة جيده حديثة ،خطها نسخ حسن
٥٩٥٠ معجم المؤلفين ٣ : ١٣
١ ـ التاريخ العام للعرب والامبراطوريه
الاسلاميه أ ـ المؤلف ب ـ الناسخ
جـ ـ تاريخ النسخ د ـ تاريخ القدس

(٥٢)

هذه رسالة الروضة الأنسية في السيرة
القدسية تأليف شيخنا ومولانا ومرشدنا
قدوة الاسلام وعلم الشام وفخر
الأنام العالم العامل والمربي
الكامل الحنفي مذهبًا والشاذلي
طريقة سيدنا وأستاذنا
العلامة النقي الشيخ محمد امين بن
محمد بن علي الشهير بسويد
نفع الله به المسلمين
واسكنه ووالديه
بالقرب منه في اعلى
عليين آمين
اللهم آمين

هذه فهرسة رسالة الروضة الأنسية في السيرة القدسية

الباب الأول في ذكر أحواله وتقلباته من ابتداء اتخاذه معبدًا الى زمن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه عشرون فصلًا

الفصل الأول في بداية أمره وأول من أسسه وعدد البانين له

الفصل الثاني في أول من أسس مدينة القدس وصار ملكا عليها

الفصل الثالث في مولد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وبعض خصائصه وكمالاته قبل بعثته

الفصل الرابع في بعثته وارساله لهداية

الفصل الخامس في القائه في النار لما ألزمهم الحجة وعجزوا عن محاججته

الفصل السادس في فراقه لقومه لما لم يؤمنوا وانتقاله الى حبرون

الفصل السابع في نقله هاجر وولدها اسماعيل الى محل مكة المكرمة

الفصل الثامن في أمر الله سبحانه لابراهيم ان يبني البيت الحرام

الفصل التاسع في ذكر بعض الكمالات الابراهيمية

الفصل العاشر في ظهور الاسكندر ذي القرنين الأكبر ووفاة الخليل عليه الصلاة والسلام

الفصل الحادي عشر في ذكر بناء يعقوب للبيت المقدس وذكر لوط عليه السلام

الفصل الثاني عشر في ولادة موسى وتقلبه الى ان عاد من مدين ودعى فرعون الى الايمان بالله سبحانه وتعالى

الفصل الثالث عشر فيما جرى بين موسى وهارون وفرعون من المحاورات والمعجزات

الفصل الرابع عشر في رحلة بني اسرائيل نحو الأرض المقدسة وغرق فرعون وجنوده

الفصل

الفصل الخامس عشر في تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى وفتنة السامري

الفصل السادس عشر في بناء داود وسليمان لبيت المقدس ووفاتهما

الفصل السابع عشر في تخريب بختنصر لبيت المقدس ثم تعمير ملك الفرس بهمن أو داراله

الفصل الثامن عشر تملك الاسكندر الأصغر ملك اليونان لبيت المقدس وقتل اليهود يحيى وزكريا ورفع عيسى عليه السلام الى السماء

الفصل التاسع عشر في غزو طيطس ملك الروم بني اسرائيل وقتلهم القتل العام وتخريب القدس

الفصل العشرون في [illegible] الامبراطور اذريانوس الروماني لبني اسرائيل وتخريبه القدس التخريب النهائي

الباب الثاني فيما ورد في فضله وذكر سيرته من زمن النبوة الى الفتوح الصلاحي الأيوبي وفيه عشرة فصول

الفصل الأول في ذكر بعض فضائله

الفصل الثاني في استخلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

الفصل الثالث في نزول أبي عبيدة بجيشه على القدس [illegible]

الفصل الرابع في كتابته لعمر بحضوره لفتح بيت المقدس

الفصل الخامس في مجئ عمر اليه وعقده الصلح لأهل بيت المقدس

الفصل السادس في رجوعه الى المدينة ووفاته رضي الله عنه

الفصل السابع في ذكر سيرته وبعض مناقبه رضي الله تعالى عنه

الفصل الثامن في عمارة عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة والأقصى الشريف

الفصل التاسع في ذكر شيء من سيرة عمر بن عبد العزيز

الفصل العاشر في استيلاء ملك الافرنج غودافروا دي بويون على بيت المقدس

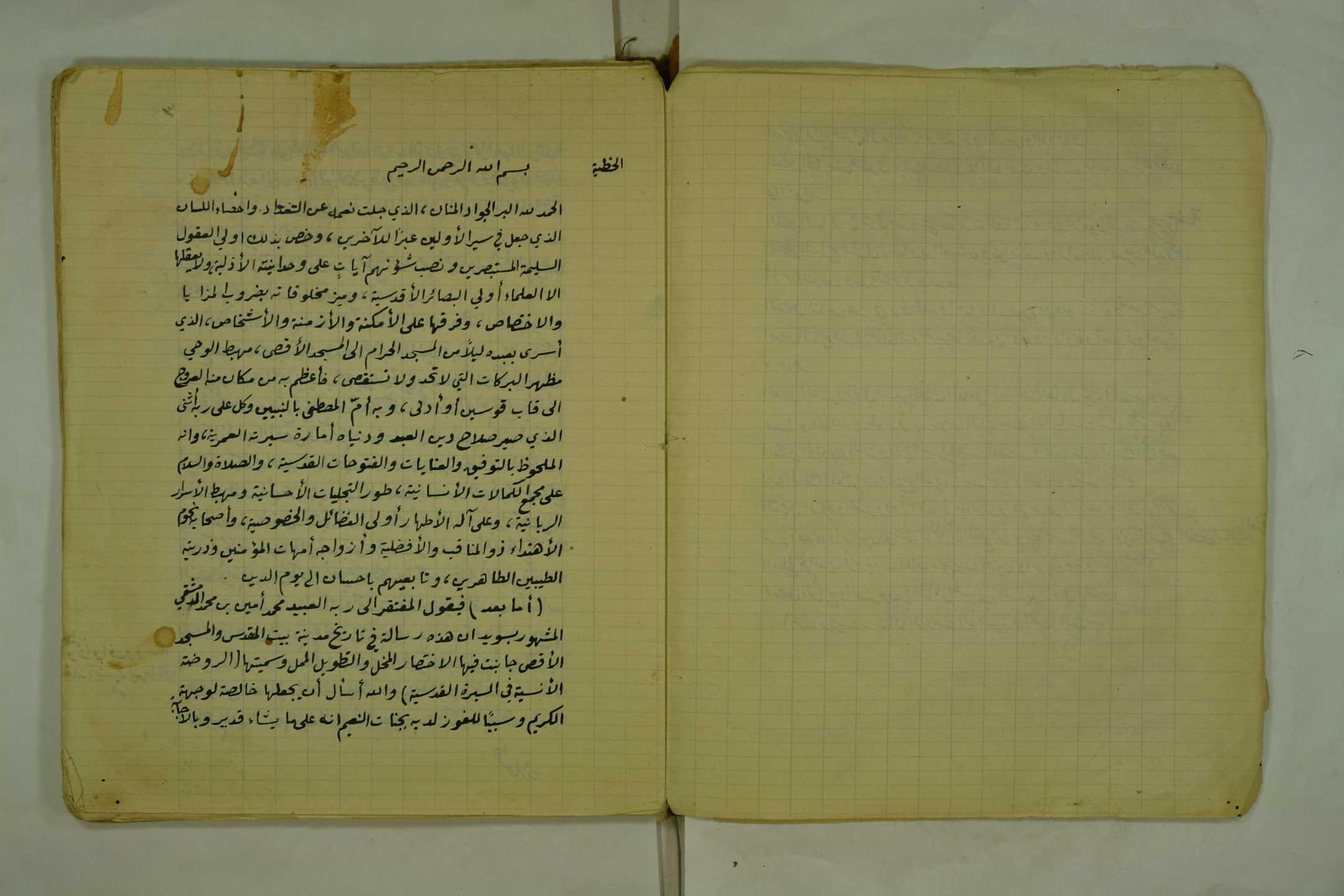
الباب الثالث في أحواله وتقلباته من ابتداء الفتح الصلاحي الى سنة
الحالية التي هي سنة ألف وثلاثمائة وأربع وثلاثون هجرية وفي السيرة
الصلاحية الأيوبية وفيها أربعة وعشرون فصلاً

الفصل الأول في مولد السلطان صلاح الدين الى أن شب وترعرع
الفصل الثاني في تقديم السلطان نور الدين له في الوظائف وايثاره على غيره
الفصل الثالث في رحلته مع عمه الأمير شيركوه واخذهما مصر من وزيرها شاور
وقتله شاور
الفصل الرابع في موت عمه الأمير شيركوه واستقرار الوزاره لصلاح الدين نائباً عن
السلطان نور الدين زنكي
الفصل الخامس في طلبه لوالده نجم الدين أيوب الى مصر لتكون قصة مشاكلة لقصة
يوسف عليه السلام
الفصل السادس في أمر السلطان نور الدين له بقطع الخطبة الفاطمية واقامة الخطبة العباسية
الفصل السابع في حصول نفرة بينه وبين السلطان محمود زنكي نور الدين وما جرى
بينهما من المكاتبات وموت نور الدين واستقرار السلطنة لصلاح الدين رحمه الله تعالى
الفصل الثامن فيما جرى له من الظفر والفتوحات مع نور الدين الى ابتداء الفتح
المقدسي ووفاة والده بمصر
الفصل التاسع في فتح الموصل ومرضه رحمه الله تعالى
الفصل العاشر في فتوح طبريا والوقعة الكبرى بحطين واسره ملوك الافرنج
مثل الانبراطور جفري وأخيه ملك والرئيس ارناط صاحب الكرك
الفصل الحادي عشر في الفتح الثاني لبيت المقدس
الفصل الثاني عشر في مصالحته مع الافرنج الصلح الأخير
الفصل الثالث عشر في وفاته تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته

الفصل

الفصل الرابع عشر فيما له من الآثار الخيرية والمدارس والأوقاف
الفصل الخامس عشر في ميله للفضائل والكمالات وجانب مما مدحه به الفضلاء
والشعراء
الفصل السادس عشر في صبره على مكابدات المصائب وتحمله الأمور الصعاب وحلمه واحسانه
الفصل السابع عشر في رضاه بجر العيش وتواضعه واكرامه للوافدين عليه وتحمله
أذى الناس ومرونته وفرط كرمه
الفصل الثامن عشر في رقة قلبه واجماع المسلمين على علو شأنه وحسن سيرته
الفصل التاسع عشر في مخلفاته وتقسيم ممالكه على أولاده واولاد أخوته واخوته
وبني عمه
الفصل العشرون في تسليم الملك الكامل ابن الملك العادل بيت المقدس ومدينة
صيدا وعكا للانبرطور فريديكوس الثاني ملك المانيا سنة ست وعشرين وستمائة ٦٢٦
الفصل الحادي والعشرون في استرجاع بيت المقدس وفتحها على يد الملك الناصر
ابن الملك المعظم ابن صلاح الدين في سنة سبع وثلاثين وستمائة ٦٣٧
الفصل الثاني والعشرون في اتفاقه مع الافرنج على بني عمه وارجاع القدس لهم
سنة احدى وأربعين وستمائة ٦٤١ الفصل الثالث والعشرون في الفتح الرابع للقدس الشريف على يد الملك
الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر سنة اثنين واربعين وستمائة ٦٤٢
الفصل الرابع والعشرون في المآثر المسيحية المشهورة في القدس

(تمت فهرسة رسالة الروضة الأنسية في السيرة القدسية)



الخطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البر الجواد المنان، الذي جلت نعمه عن التعداد، وأعيا اللسان الذي جعل في سير الأولين عبراً للآخرين، وخص بذلك أولي العقول السليمة المستبصرين، ونصب شؤونهم آيات على وحدانيته الأزلية، ولا يعقلها الا العلماء أولي البصائر القدسية، وميز مخلوقاته بضروب المزايا والاختصاص، وفرقها على الأمكنة والأزمنة والأشخاص، الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، مهبط الوحي مظهر البركات التي لا تحد ولا تستقصى، فاعظم به من مكان منه العروج الى قاب قوسين أو أدنى، وبه أم المصطفى بالنبيين وكل على ربه أثنى الذي صير صلاح دين العبد ودنياه أمارة سيرته العمرية، وانه الملحوظ بالتوفيق والعنايات والفتوحات القدسية، والصلاة والسلام على مجمع الكمالات الانسانية، طور التجليات الاحسانية ومهبط الأسرار الربانية، وعلى آله الأطهار أولي الفضائل والخصوصية، وأصحابه نجوم الأهتداء ذوي المناقب والأفضلية وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الطيبين الطاهرين، وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

(أما بعد) فيقول المفتقر الى ربه العبيد محمد أمين بن محمد المفتي المشهور بسويد ان هذه رسالة في تاريخ مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى جانبت فيها الاختصار المخل والتطويل الممل وسميتها (الروضة الأنسية في السيرة القدسية) والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وسبباً للفوز لديه بجنات النعيم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

جديد ورتبتها على ثلاثة أبواب الباب الأول في ذكر أحواله وتقلباته
من ابتداء أمره الى زمن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وفيه عشرون فصلاً
الباب الثاني في شؤنه من زمان النبوة الى أن فتحه المرحوم السلطان صلاح
الدين الأيوبي وفيه عشرة فصول
الباب الثالث في أحواله من زمن الفتح الصلاحي ألى زماننا الحالي يعني
١٢٢٤ هجرية وفيه أربعة وعشرون فصلا

الفصل الأول في مبداء اتخاذه قال الله سبحانه وتعالى ان أول بيت
وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدًى للعالمين فيه آيات بينات مقام
ابراهيم وروى البخاري في صحيحه عن أبي ذر قال قلت يا رسول
الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً قال المسجد الحرام قال قلت ثم
أي قال المسجد الأقصى قال كم كان بينهما قال أربعون سنة ثم قال
أينما أدركتك الصلاة بعد فصل فان الفضل فيه، وروى البخاري
ومسلم والنسائي عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع
في الأرض أولاً قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قال
قلت كم كان بينهما قال أربعون سنة وقد روي أن الملائكة قصدت
البيت الحرام قبل خلق آدم بألفي عام فكانوا يحجونه قال القرطبي فظاهر
الحديث يدل على أن الملائكة اتخذت أقصى بيت المقدس معبداً بعد
اتخاذها البيت الحرام ثم اتخذه آدم وجدده ثم بناه سام بن نوح ثم
يعقوب ثم داود وسليمان عليهما السلام وبعضهم تأول الحديث
وحمله على أنه المراد ان بناء يعقوب لبيت المقدس كان بعد بناء
ابراهيم عليه السلام للبيت الحرام بأربعين سنة فيكون الأقصى قد بني

(في الهامش: وكذا داود فيه وسماه فلذا نسب إليهما بناؤه صح)

خمس مرات

خمس مرات والسادسة بناء عبد الملك لقبة الصخرة والمسجد الأقصى
سنة ست وستين من الهجرة وهي بناء سام ثم يعقوب ثم داود
وسليمان ثم ازدشير ملك فارس ثم عمر بن الخطاب ثم عبد الملك بن
مروان ولقد جدد فيه وأصلح الأمويون والجراكسة والخلفاء العثمانيون
نصرهم الله أشياء كثيرة ولاسيما القاشاني والمرمر والرخام وغير ذلك
وأنفق في ذلك البناء خراج مصر سبع سنين وتم البناء سنة ثلاث
وسبعين وأما الكعبة فانها بنيت أيضا ست مرات بناء الملائكة ثم بناء
آدم ثم بناء ابراهيم عليهما السلام ثم بناء قريش سنة خمس وثلاثين من مولد
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بناء عبد الله بن الزبير ثم البناء الأخير وهو
بناء الحجاج لها وقيل أول من بنى الكعبة آدم فاندرس زمن الطوفان
فجدده ابراهيم عليه السلام.

الفصل الثاني في أول من بنى مدينة القدس وهو سام بن نوح
الملقب بملك صادق ومعناه بالعبرانية ملك الصدق وكان ملكا
عليها وسبب تملكه لها هو انه لما نزل بها قطن بكهف يتعبد فيه
حتى بلغ ذلك الملوك الذين هم بالقرب من بيت المقدس فحضروا اليه
واعتقدوه وأحبوه حبًا شديدًا وأحضروا له أموالاً كثيرة ليعمر
مدينة القدس فاختطها وعمرها وسميت أورشليم ومعناه بالعبرانية
بيت السلام فلما تمت عمارتها اتفقوا أن يكون ملكصادق ملكا
عليها وكنوه بأبي الملوك وكانوا جميعًا تحت طاعته واستمر حتى مات
بها ٢٧٤٢ سنة ألفين وسبعمائة واثنين واربعين من هبوط آدم
وكان مولده [illegible] فيكون عمره ... على حكم التوراة اليونانية وهو

المعتمد عند المؤرخين ثم بعد ذلك أرسل الله تعالى هوداً عليه السلام الى قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام وكانوا قوماً جبارين طوال الأجسام فدعاهم الى الله فلم يؤمن من قومه الا القليل فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً أي دائمة فلم يسلم منها غير هود والذين آمنوا معه فانهم اعتزلوا في حضرموت وكذلك هو حتى مات بها ثم أرسل الله تعالى صالحاً الى قوم ثمود وكان مسكنهم بالحجر بين المدينة المنورة والشام فلم يؤمن به منهم الا قليل مستضعفون ثم ان كفارهم عاهدوه على انه ان أتاهم بما يقترحونه عليه آمنوا به ثم اقترحوا عليه أن يخرج لهم ناقة من صخرة معينة فدعا الله تع بذلك فأخرج الله تع لهم ناقة من تلك الصخرة وولدت فصيلاً فلم يؤمنوا وعقروا الناقة فأهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء ثم انتقل صالح عليه السلام ويقال انه دفن في الجامع الأبيض في الرملة .

الفصل الثالث في مولد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وبعض خصائصه وكمالاته قبل بعثته ثم في ٣٣٢٣ ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وعشرين ولد حضرة أبي الأنبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهو من أولي العزم المجموعين في قول القائل ،

محمد ابراهيم موسى كليمه … فعيسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم

روي ان الله تع أنزل عليه عشرة صحف كلها أمثالاً وجعل له لسان صدق في الآخرين فليس أحد من الأمم الا ويحبه وأكرمه الله تع بالخلة وهي المرتبة العاشرة من المحبة ولقد نظمها بعضهم بقوله :

مراتب الحب

مراتب الحب ولاها الهوى … فعلاقة ان لازم القلب الذي علقا

فان تقوى فهذا عندهم كلف … وان يزد فهو وصف للذي عشقا

وأرخل لشغاف القلب ذا شغف … ثم الجوى وهو المكتوم من حرقا

والتيتم ما استعبد الانسان ثم اذا … للسقم أدى فتبل يذهب الرمقا

ومذهب العقل تدليه وأعظم الـ … ـهيام فاحذره فهو المذهب الرمقا

والخلة الغاية القصوى التي ملأت … كل الفؤاد فها نظما قد اتسقا

وجعل الله أكثر الأنبياء من ذريته وختم ذلك بسيد المرسلين وابراهيم هو ابن تارخ وآزر عمه وعادت العرب تدعو العم أبا ولذلك قال الله تعـ حاكيا عن يعقوب عليه السلام حين حضرته الوفاة قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق مع ان يعقوب بن اسحاق واسماعيل عمه لا أبوه ويؤيد هذا أن سيدنا ابراهيم من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وأجداده صلى الله عليه وسلم لم يدخلهم شرك أصلا الى آدم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لم أزل انتقل من الأصلاب الطاهرات الى الأرحام الزاكيات وقال صلى الله عليه وسلم ما ولدني سفاح الجاهلية ما ولدت الا عن نكاح الاسلام من لدن أمي آمنة الى حواء وقال تعـ وتقلبك في الساجدين وكان مولده عليه الصلاة والسلام لمضي ألف واحدى وثمانين سنة من الطوفان فظهرت لابراهيم عليه الصلاة والسلام ارهاصات عظيمة وخوارق عادات وعنايات الهية من حين أن حملت به أمه الى أن ولدته في مغارة خوفاً عليه من النمرود لأنه كان يقتل الذكور من الأولاد في تلك السنة لأخبار الكهنة والمنجمين له بمولود يولد في تلك السنة يكون هلاكه وذهاب ملكه على يده وولد

وهو مدهون مكحول بأحسن حال مكث في ذلك ألفا وخمسة عشر شهراً
وتكلم يوماً وقال لأمه يا أماه من ربي قالت أنا فقال لها من ربك فقالت
أبوك فقال ومن رب أبي فقالت النمرود فقال ومن رب النمرود فلطمته
وقالت له أسكت وكذلك فصل مع آزر وذلك قوله تعالى ولقد آتينا
ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم مضت مدة وصار يتجول في
أطراف الغار ويتفكر في خلق السموات والأرض وفي النجوم والكواكب
فرأى كوكباً فقال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى
القمر بازغاً قال هذا ربي ~~هذا أكبر~~ حتى اذا غاب سمته وقال لا
أحب الآفلين فرجع بفكره متوجهاً الى ربه قائلاً لئن لم يهدني ربي
لأكونن من القوم الضالين فلما طلعت الشمس قال هذا ربي هذا اكبر
فلما أفلت سمتها وتوجه الى ربه بقلب سليم وقال يا قوم اني بريء
مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما
أنا كان من المشركين فنقله الله من علم اليقين الى عين اليقين الى حقيقة اليقين
حتى قال بعض أهل الله ان هذه تجليات آلهية ظهرت له عليه الصلاة
والسلام منها ما يقال له التجلي النجمي ومنها ما يسمى التجلي القمري ومنها ما يسمى
التجلي الشمسي وكان هذا الحال هو الأسلوب الحكيم فكأنه يقول أنا لا أريد
لكم الا الخير والحق وأنا أريد لكم ما أريد لنفسي وصار يدرجهم وينقلهم
من النجم الى القمري الى الشمس ويبين لهم عدم صلاحية شيء منها للعبادة
لأنها تغيب وتتحول والاله لا يزول ولا يتحول ولم يزل عليه الصلاة
والسلام يتقلب في الكمالات الالهية حتى أكرمه الله بالنبوة والرسالة
والخلة وجعله أبا الأنبياء وتاج الأصفياء وولد بالرها ويكون نشأ

من العراق

من العراق

الفصل الرابع في بعثته وارساله لهداية قومه، ثم لما أمره الله أن يدعو
قومه لعبادة الله تعالى ودعا قومه وفشا أمره وحاجه قومه في دينه فقال
لهم أتحاجوني في الله وقد هداني للتوحيد والحق ولا أخاف ما تشركون
وذلك انهم قالوا له احذر الأصنام فانا نخاف عليك من أن تمسك
بسوء لشتمك اياها فقال لهم لا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء
ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً وقال له أصحاب النمرود من تعبد فقال
رب العالمين قالوا نحن ربنا النمرود فقال أنا أعبد الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكماً والحقني
بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة
جنة النعيم الى آخر الآية ثم فشا أمره في الناس حتى بلغ النمرود فدعاه
اليه وقال يا ابراهيم أرأيت الملك الذي أرسلك ما هو فقال هو ربي
الذي يحيي ويميت فقال النمرود أنا أحيي وأميت فقال ابراهيم كيف تحيي وتميت
قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فاقتل أحدهما وأعفو عن الآخر
فلما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان النمرود قليل الادراك بنى أمره
على الظاهر انتقل الى حجة أخرى فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت
بها من المغرب فبهت الذي كفر وقد كان يمكنه أن هذا الذي تقوله ليس
باحياء حقيقة ولا باماتة حقيقة فانقطعت حجة النمرود ثم لما رجع النمرود
وقومه من عيدهم دخلوا على الأصنام يسجدون لها فخرج ابراهيم في ذلك
الطريق وقال تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ثم جيء

ابراهيم الى بيت الأصنام وقد جعلوا اطعاماً بين أيديها فقال لهم ابراهيم
الا تأكلون [على طريق الاستهزاء] وقال لهم مالكم لا تنطقون فراغ
عليهم ضرباً باليمين وجعل يكسرها بفأس وأبقى الصنم الكبير وعلق
الفأس في عنقه فلما اطلع قوم نمرود على ذلك قالوا من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم ويعيبهم يقال له ابراهيم
ونظنه هو الفاعل ذلك وبلغ ذلك نمرود واشراف قومه قالوا فأتوا
به على أعين الناس أي ظاهراً لعلهم يشهدون ذلك على بينة فلما
أتوا به قالوا ائت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم
هذا غضب من أن تعبد وامعه هؤلاء الصغار وهو اكبر منهم فكسرهم
واراد ابراهيم عليه الصلاة والسلام اقامة الحجة عليهم فذلك قوله فاسألوهم
ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى
عقولهم وقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على
رؤسهم أي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم
وقالوا قد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة
عليهم لابراهيم عليه الصلاة والسلام قال افتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئاً ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم عبادته اف لكم

الفصل الخامس في القائه في النار لما الزمهم الحجة وعجزوا عن محاججته

فلما عجزوا عن الجواب ولزمتهم الحجة قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان
كنتم فاعلين ثم جمع النمرود وقومه أحطاباً كثيرة وعملوا بنياناً كالحظيرة
وأضرموها ووضعوا ابراهيم عليه الصلاة والسلام في منجنيق مقيداً
مغلولا وألقوه في النار فكانت عليه برداً وسلاماً على ابراهيم

وقال

وقال الله تعالى لجبريل اذهب الى ابراهيم فان استغاث بك
فاغثه والا فاتركني وخليلي فتعرض له جبريل وهو يقذف في
النار وقال له هل لك من حاجة فقال ابراهيم اما اليك
فلا وأما الى الله تعالى فبلى قال جبريل فسل ربك قال حسبي
من سؤالي علمه بحالي ولم يستنصر بغير الله تعالى بل استسلم
لحكمه مكتفيا بتدبيره عن تدبير نفسه ومن هذا المقام قال
العارف بالله ابن عطاء الله في حكمه ربما حملهم الأدب على
ترك الطلب اكتفاء بقسمته واستغناء بعلمه عن مسألته تعالى
ولقد اختلف العلماء هل الدعاء أفضل لقوله تعالى ادعوني
الخ ولقول النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مما نزل ومما لم
ينزل وقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة أو تركه
أفضل لقوله تعالى في الحديث القدسي الأعظم من شغله
ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين وفصّل
بعضهم فقال ان وجد الداعي قلبه متحرقا ومضطربا فليدع
فانه ما حرك لسانك بالطلب الا وهو يريد أن يجيبك وان
وجد قلبه ولبه بارداً ساكناً فليكتف بعلم الله تعالى وهو
الأليق به حينئذٍ فاثنى الله عليه بقوله وابراهيم الذي وفى
وقال للنار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم وتلقاه
جبريل ولم يؤثر فيه شيء من حرارة تلك النار وظهر للناظرين
اليه ان الأرض التي سقط عليها مخضرة مونقة وجليسه جليس
صالح حسن الوجه والهيئة كأحسن ما رآه راء ثم البسه

قميصاً من لباس الجنة وفك قيده وآنسه وقال له جبريل
ربك يقرئك السلام ويقول لك أما علمت أن النار
لا تضر أحبابي فلما رآه قومه وقد أكرمه الله بما أكرمه آمن
بالله جمع كثير في السر على خوف من نمرود وخرج ابراهيم من مكانه
وهو يمشي فأرسل النمرود يسأله عن كسوته وعن رفيقه فقال
له انه ملك أرسله الي ربي فقال نمرود ان الهك الذي
تعبده لإله عظيم واني مقرب اليه قرباناً لما رأيت من عزته
وقدرته فيما صنع بك وقرب اربعة آلاف بقرة ثم احترم
ابراهيم بعد ذلك وكف عنه واستجاب لابراهيم عليه السلام
جماعة من قومه فآمنوا ومنهم ابن أخيه لوط وسارة زوجته

(الفصل السادس في فراقه لقومه لما لم يؤمنوا والانتقال الى
حبرون) ثم أجمع ابراهيم ومن آمن معه على فراق نمرود
وقومه وقالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون
الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى
تؤمنوا بالله وحده ورحل ابراهيم ومن آمن معه ونزلوا با
لرها ثم الى بعلبك وكان ملك الجبار المشهور بها وصف له
حسن سارة وجمالها ثم ان الجبار طلب من ابراهيم أن يرى
سارة فلما رآها ومد يده نحوها أيبس الله يده ورجله
فلما تخلى عنها أطلقهما الله تبارك وتعالى ثم عاد فصار له
كالأولى مراراً تكرمة من الله سبحانه وتعالى لحضرة خليله سيدنا
ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان ابراهيم داخلاً في صلاته

وقد كشف الله بصره عما حصل لذلك الجبار مع سارة ثم ان الجبار
اعتقد بابراهيم وسارة وأعطاهما هاجر جارية ثم سار ابراهيم
عليه السلام الى وادي السبع بين الرملة وايلياء وأكثر الله أمواله
ومواشيه وظهرت له معجزات مع أهل تلك الناحية ثم رحل
ونزل بغار حبرون ثم نزلت به الملائكة المرسلة لأهلاك قوم
لوط وجاء لهم بعجل حنيذ أي مشوي وكان من شأنه ما قص
الله تعالى في كتابه العزيز ومضى معهم الى محل مسجد اليقين فقالت
له الملائكة اقعد ههنا وسمع صوت الديكة من السماء فقال هذا هو
الحق اليقين فأيقن بهلاك قوم لوط فسمي ذلك الموضع مسجد
اليقين ثم ان هاجر ولدت اسماعيل عليه السلام فتأسفت سارة
على عدم ولد لها فوهبها الله اسحاق وهي عجوز .

(الفصل السابع في نقله هاجر وولدها اسماعيل الى محل مكة المكرمة)
ثم ان الله أمر ابراهيم أن يذهب بهاجر الى مكة - فسار بها
ومعها ولدها اسماعيل ثم لما وضعها ابراهيم عند مكان البيت الحرام
وأراد الانصراف عنها قامت اليه هاجر وهي تقول له الى من
تتركنا في هذا المحل الذي ليس فيه أنيس ولا شيء وتذهب وقالت
له ذلك مراراً وهو لا يلتفت وقالت له آلله أمرك بهذا فقال
نعم فقالت اذاً لا يضيعنا ربنا ثم رجعت وانطلق ابراهيم حتى
اذا كان عند الثنية استقبل بوجهه البيت الحرام وقال رب أني
أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من

الثمرات لعلهم يشكرون وسار ابراهيم ثم ان هاجر نفد ما عندها
من الماء فعطشت وعطش ولدها فجعلت تنظر اليه وهو يتلوى
من العطش فصعدت الى الصفا لعلها تصادف أحداً فلم تنظر
فنزلت الى المروة كذلك فلم ترى أحداً وكررت ذلك سبع مرات
فلذلك سعى الناس سبعة أشواط بين الصفا والمروة وفي آخر
سعي سمعت صوتاً فاذا هي بالملك فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى
ظهر الماء فجعلت تحوطه وتغرف الماء بسقائها وهي تقول زم زم
قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسماعيل
لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عيناً معيناً وقال
لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله الحرام ويبنيه هذا
الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض
كالرابية ثم نزل هناك ابيات من قبيلة جرهم وشب اسماعيل عليه
السلام وتعلم العربية ثم زوجوه امرأة منهم ثم ماتت أمه هاجر
ثم جاء ابراهيم فلم يجد اسماعيل فسأل زوجته عن معيشتهم فشكت
ولم تشكر الله تعالى فقال لها اذا جاء قولي له يقرئك السلام ويغير
عتبة بابه فلما جاء اسماعيل اخبرته فقال ذلك ابي امرني بفراقك
ففارقها وتزوج باخرى ثم جاء ابراهيم عليه السلام فلم يجد اسماعيل
فسأل زوجته فقالت خرج يبتغي لنا صيدا فسألها عن معيشتهم
فشكرت الله تعالى وقالت نحن بخير واثنت على زوجها فقال
لها اذا جاء زوجك فقولي له يقرئك السلام وليثبت عتبة
داره

الفصل الثامن في امر الله سبحانه لابراهيم ان يبني البيت الحرام

ثم

ثم جاء بعدها واجتمعا فقال ابراهيم عليه السلام يا اسماعيل ان الله امرني ان
ابني له بيتاً ههنا واشار الى الاكمة فقال اسماعيل السمع والطاعة لما قال ربنا لما قال ربنا
فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة وجبريل يعلمه ان يضع هذا
الحجر هنا وهذا الحجر هنا وكان ابراهيم يقف على الحجر الموجود الى زمننا
الآن الذي قد غاصت قدماه فيه المراد بقوله تعالى فيه آيات بينات
مقام ابراهيم واستمر البيت على بناء ابراهيم عليه السلام حتى هدمت قريش
سنة ٣٥ من عمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان بناء الكعبة سنة مائة من
عمر ابراهيم فيكون بالتقريب بين بناء الكعبة الابراهيمي وبين الهجرة
الفان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة ثم أمر الله جل وعز ابراهيم
عليه السلام بذبح ولده وفداه بذبح عظيم وقد اختلف العلماء في الذبيح
هل هو اسحاق وهو قول علي وابن مسعود وجماعة والكتابيين أو
اسماعيل وهو قول ابن عباس وابن المسيب والشعبي فمن قال الذبيح
اسماعيل قال كان ذلك بمنحر منى حيث ذبح الكبش ومن قال انه
اسحق قال ان ذلك كان عند صخرة بيت المقدس ثم ماتت سارة فدفنها
ابراهيم بمغارة حبرون ولما توفي الخليل دفن جانبها من جهة
الغرب ثم توفيت ربقة زوجة اسحق فدفنت قبلة سارة ثم توفي
اسحق فدفن غربي ربقة ثم توفي يعقوب فدفن عند باب المغارة
شمال قبر ابراهيم عليهما السلام ثم توفيت ليقا زوجته فدفنت
في قبره ثم حوط أولاد يعقوب حائطاً على باب المغارة وجعلوا

علامات على مقابر الأنبياء وزوجاتهم وخرجوا وطبقوا وصار
كل من وصل اليه يطوف ولا يصل اليه حتى جائت الروم وفتحت له
بابًا ودخلوا اليه وبنوا فيه كنيسة .

(الفصل التاسع في ذكر بعض الكمالات الابراهيمية)

ثم لما ملك المسلمون تلك الديار هدموا الكنيسة وابراهيم عليه
السلام أول من سمانا المسلمين وأول من ضرب بالسيف وكسر الأصنام
واختتن ولبس السراويل وصلى أربع ركعات أول النهار ولذلك (اختتن صح)
سمي وفيا فقال تعالى وابراهيم الذي وفى وهو أول من سن القرى
وثرد الثريد وفرق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب ونتف
الأبط واستاك وتمضمض وأول من صافح وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لقيت ابراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد اقرأ
امتك مني السلام وقل لهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان
وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
وروي ان ابراهيم كان لا يأكل وحده ويخرج ميلا أو ميلين
يلتمس ضيفا ولاخلاصه في الضيافة دامت ضيافته في مشهده
الى يومنا هذا فلا ينقضي يوم الا ويأكل منها جماعة ويكنى
بأبي الضيفان وكان عليه السلام يقري الضيفان ويكسي العريان
على الدوام ولقد سماه الله حليما وأواها منيبا والحليم الرشيد الذي
يملك نفسه عند الغضب وروى الثعلبي عن ادريس الخولاني عن
أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كم من
كتاب أنزل الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى
مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على آدم عشرة صحف وعلى ابراهيم

الخليل

الخليل عشرة صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة
وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال قلت يا رسول
الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا منها يا أيها الملك المغرور
المبتلى اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد دعوة
المظلوم فاني لا أردها وان كانت من كافر ومنها وعلى العاقل ما لم
يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه
ويتفكر في صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر وساعة
يخلو فيها بحاجته من الحلال لا من الحرام في المطعوم والمشروب
وغيرها وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه
حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه
وقد اختلف هل الخلة أفضل أم المحبة فقيل الخلة والمحبة سواء
معنا ورتبة وقيل الخلة أفضل وقيل المحبة أفضل والتحقيق أن المحبة
أعم لأنها عشرة مراتب كما سبق نظما والخلة هي المرتبة العاشرة
منها ورسول الله ابراهيم خليل الله وكذا حبيبه وكذلك مصطفاه
محمد صلى الله عليه وسلم كما يدل له قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر وروى البخاري ومسلم في فضل
الخليل عليه السلام قوله صلى الله عليه وسلم أول من يكسى من الخلائق
يوم القيامة ابراهيم الخليل وروي انه قال يحشر الناس يوم القيامة
حفاة عراة غرلا فيقول الله تعالى مالي أرى خليلي عريانا فيكسى
ثوبا أبيض فهو أول من يكسى يوم القيامة وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول
من يكسى يوم القيامة ابراهيم الخليل عليه السلام بحلته ثم أنا الصفوة

ثم علي بن أبي طالب يزف بيني وبين ابراهيم الخليل زفا الى الجنة

الفصل العاشر في ظهور اسكندر ذي القرنين الاكبر ووفاة الخليل

ثم انه كان في زمن الابراهيم الاسكندر الاكبر ذو القرنين وخضعت
له ملوك الأرض في الطول منها والعرض وكانت مدة ملكه أربعة عشرة سنة
وتوفي وعمره ستة وثلاثون سنة بالاتفاق وعرض ملكه على ولده فأبى
واختار النسك وعبادة ربه وتوفي الله سبحانه خليله ابراهيم قبل الهجرة
بألفين وسبعمائة وثمانية عشرة سنة وعمره مائة وخمسة وسبعون
سنة وأمر الله سليمان عليه السلام أن يبني على قبر ابراهيم وأولاده
بناء وجعل له نوراً من السماء الى الأرض علامة له على المحل الذي
فيه الخليل وأولاده عليهم السلام فبنى ذلك البناء العظيم الموجود
الى زمننا هذا ولقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ليلة أسري بي الى بيت المقدس مر بي جبريل عليه السلام على
قبر ابراهيم عليه السلام فقال لي أنزل فصل ركعتين ههنا فان
ههنا قبر ابيك ابراهيم الخليل عليه السلام وعن أنس بن مالك
انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا خير البرية
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم عليه السلام
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من لم تمكنه زيارتي فليزر
قبر أبي ابراهيم الخليل عليه السلام ولقد ذكر أهل الله وعلماء
الدين أن الدعاء عند قبره مستجاب ويستحب لزائره ان يتوب
الى الله تعالى من جميع ذنوبه ويخلص في زيارته ويكثر من
الصلاة عليه وعلى سيدنا محمد وجميع الأنبياء ويستعمل الآداب
المذكورة في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم هنا ثم يزور زوجته

سارة وجميع أولاده وأزواجهم وأن يقدم قبل الزيارة
التصدق بشيء من المال الحلال ثم ان داخل هذا السور له
حكم المساجد ولقد وردت تسمية في مسجد السنة الشريفة وسمي حرماً
أيضا لأن الصلاة لا تكون على القبور أصلا بل على القبور الشريفة
ضرائح لا يصلي المصلون اليها فلا تكون صلاتهم فوق القبور
ولقد مضى أزمنة متطاولة وعلماء الدين وأئمة الأسلام مطلعون
على ذلك وأقره الخلفاء وملوك الأسلام فصار كالأجماع وثبت
له أحكام المساجد وبالقرب من هذا المسجد الشريف مكان واسع
مشتمل على حواصل للقمح والشعير وعلى ثلاثة أفران للخبز وستة
أحجار للطحن وفيه السماط الأبراهيمي للضيفان الذي هو من عجائب
الدنيا يأكل منه كثير من أهل البلد والواردين وكان يعمل فيه من
الخبز كل يوم من أربعة عشر ألفا الى خمسة عشر ألف رغيف تفرق صباحا
وبعد الظهر لأهل المدينة وبعد العصر للعموم وسعة وقفه لا تكاد تنضبط
ولا يمنع من سماطه أحد ويعمل فيه الدشيشة وتدق كل يوم بعد العصر
الطبلخانة وسببها الأصلي هو أن حضرة الخليل عليه الصلاة والسلام
كانت عنده الضيوف لا تزال متواردة وأمكنة نزولها متفرقة في المنازل
فاذا كان وقت مد السماط أمر بضرب الطبل حتى يحضروا جميعًا فصارت
سنة بعده وكان ابراهيم عليه السلام لا يأكل الا مع الضيفان وقد اوسع
الله عليه وبسط له في الرزق ولقد عليه الملائكة المرسلون لأهلاك
قوم لوط فسر بهم وقدم لهم عجلا حنيذاً أي مشويا على الحجارة وخدمهم
بنفسه فلما رأى أيديهم لا تصل الى العجل نكرهم وأوجس منهم خيفة
لانه كانت العادة حينئذ اذا امتنع الضيف من تناول طعام المضيف ظنوا

انه لم يأتهم بخير بل بشر فقالوا له يا ابراهيم لا تخف انا ملائكة الله جئنا لنهلك قوم لوط وكانت امرأته قائمة وراء الستار فبشروها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت تعجبا من مجيء الولد لها مع انها عجوز وبعلها شيخ وكان سن ابراهيم مائة وعشرين سنة وقالت ان هذا لشيء عجاب فقالت الملائكة اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ولم يمت سيدنا ابراهيم عليه السلام حتى بعث الله اسحق الى أرض الشام ويعقوب الى أرض كنعان واسماعيل الى جرهم ولوطا الى سدوم فكانوا كلهم رسلا في حياته عليه الصلاة والسلام ومن ذرية اسحق الروم واليونان والأرمن وبنوا اسرائيل واسرائيل هو المسمى يعقوب عليه السلام واولاده هم الأسباط الاثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذى ويساخر وزبلون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وكاد واشر .

الفصل الحادي عشر في ذكر بناء يعقوب للبيت المقدس وذكر لوط عليه السلام

ثم ان يعقوب عليه السلام هو الذي عمر الأقصى الشريف بعد أن أشرف على الانهدام لطول المدة من عمارة سام بن نوح له بوحي الهي وتقدم انه دفن عند قبر أبيه ابراهيم وعاش يعقوب مائة وأربعين سنة وتوفي بمصر واوصى ولده يوسف بان يدفنه عند أبيه اسحاق ففعل ذلك يوسف عليه السلام وولد يوسف عليه السلام لما مضى من عمر يعقوب احدى وتسعون سنة ولما صار ليوسف ثمانية عشرة سنة كان فراقه لأبيه وبقيا مجتمعين سبعة عشرة سنة وقيل غير ذلك وتفصيل قصته مذكورة في القرآن الكريم ، واما لوط عليه السلام فهو ابن اخي ابراهيم عليه السلام

وحكي

لا تعلم صح

وحكي لوطا لأنه حبه ليطا أي تعلق بقلب ابراهيم عليه السلام وكان يحبه حبا شديدا وكان ممن هاجر مع ابراهيم عليه السلام فارسله الله الى سدوم وكانوا أهل كفر وفاحشة وكانوا يقطعون الطريق ويفعلون الفاحشة بالمارين وهو ينهاهم ويزجرهم ويعظهم الا كفرا وتماديا فارسل الله الملائكة لاهلاكهم وقلب قراهم الخمس وسأل ابراهيم جبريل فيهم فقال جبريل ان كان فيهم خمسون من المسلمين لا يعذبهم الله وقال ابراهيم واربعون فقال جبريل واربعون فقال ابراهيم وثلاثون قال وثلاثون الى أن قال وعشرة قال ابراهيم ان فيها لوطاً فقال جبريل والملائكة نحن أعلم بمن فيها فلننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما وصلت الملائكة الى لوط هم قومه بالتعرض لهم لأن الملائكة جاؤا على صور حسان فقلبت الملائكة تلك المدائن وجعلوا عاليها سافلها وأصاب امرأته حجر فقتلها وامطر الله الحجارة على من لم يكن بتلك القرى فاهلكه ولما توفي لوط عليه السلام دفن بقرية كفر بريك متعد عن مسجد الخليل نحو فرسخ ويقال ان هناك دفن نحو ستين نبيا وعلى فرسخ من حبرون جبل فيه مرقد ابراهيم عليه السلام لما رأى قرى قوم لوط طائرة في الهواء رقد وقال اشهد أن لا اله الا الله وان هذا هو الحق اليقين ولذلك سمي ذلك المسجد مسجد اليقين ومرقده غائص في الصخر ويزار ويتبرك به .

الفصل الثاني عشر في ولادة موسى وتقلبه الى أن عاد من مدين ودعى فرعون الى الايمان بالله سبحانه وتعالى

وبعد مضي ألف وخمسمائة وست وستين من الطوفان ولد موسى بن عمران
ابن قاهت ابن لاوي ابن يعقوب واسم امه يوحانذ وكانت ولادته
في زمن فرعون مصر الوليد بن مصعب وذلك ان فرعون رأى عدة
منامات عبرها له المعبرون بمولود يولد لبني اسرائيل يكون سببا لهلاكه
فجعل يقتل ابناءهم ويستحيي نساءهم وأمر القوابل أن لا تكون ولادة
امرأة من بني اسرائيل الا بمرأى من أعوانه ووصف لفرعون جمال
آسية الفائق الحد فطلبها من أبيها فلم يقبل فلم يزل يلح عليه ويكثر
له من الأموال حتى زوجه بها على كره منه ومنها وحفظها الله منه
فلم يصل اليها وكان يرضى بالنظر اليها وحكى الله تعالى عنها اذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم
الظالمين ولما وضعت يوحانذ حضرة الكليم عليه السلام نظرت الى نوره
وهو يتلألأ ففرحت به وودعت الله تعالى أن ينجيه من فرعون
وكانت أم موسى اذا خرجت في حاجاتها تخفي ولدها موسى
في التنور وتغطيه فاتفق انها خرجت مرة وجاءت أختها وأوقدت
التنور ولم تعلم بأن موسى موضوع فيه واتفق أن هامان دخل
بيت ام موسى ليفتش على المولود ففتش حتى جاء الى التنور فوجده
مسجرا بالنار فقال لا يكون المولود في النار ثم انصرف واذ
جاءت أم موسى فرعبت من دخول المفتشين دارها ولما علمت
أنهم ما اهتدوا اليه فرحت ثم لما بلغها أن التنور أحمي قالت لا
ينفع حذر من قدر وأيقنت بهلاكه فناداها من التنور لا
تخافي علي يا اماه فان الله قد منعني من النار وان النار
لا تحرقني ولما مضى عليه أربعون يوما توفي أبوه عمران

وجعلته

وجعلته في تابوت ثم احتملته في جوف الليل وأغلقت عليه باب
التابوت والقته في النيل وهي تبكي فسمعت النداء من العلا إنا رادوه
اليك وجاعلوه من المرسلين وبقي التابوت في بحر النيل ثلاثة أيام
أو أكثر فبينما فرعون مشرف على النيل وكان في داره خليج من النيل اذ مر
التابوت وكانت لفرعون بنات في بعضهن عاهات فوجدن
ذلك التابوت فبادرت أكبرهن وفتحت التابوت فاذا فيه
موسى وقد خرج منه أنوار وبهاء فلمسته فبرئت من مرضها وناولته
الثانية فبرئت كذلك وأخرى فلذلك فأخذته وادخلته على
فرعون ففزع وقال أخاف أن يكون هذا عدوي ولابد لي من
قتله فاخبرته بمعافاة البنات لما لمسته وقالت له قرة عين لي ولك
لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وقالت ايها الملك انه
في قبضتك متى شئت فانت متمكن من قتله وأرضعته وجاؤا له با
لمراضع فلم يقبل ثدي أحد منهن حتى دلتهم أخته على أمه فأرضعته
وتمت رضاعه وأنبته الله نباتا حسنا ولما بلغ أشده أي بلغ
ثلاثين سنة واستوى أي بلغ أربعين سنة وكان قبلها يأمر فرعون
بالمعروف وينهاه عن المنكر ويعظه ثم حصل له ما قصه الله سبحانه وتعالى
من قتله القبطي وفراره الى مدين وتزوج بابنة شعيب وايجاره
نفسه عشر سنين ثم بعد مضي عشر سنين سار بأهله حتى اذا جن عليه
الليل والظلمة والبرد الشديد وصار يقدح الزناد فلم يقدح
وكانت امرأته حاملا فعندها رأى نارا من بعد فقال لأهله
اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم
تصطلون فأتى نحو النار فلما دنا منها نودي من شاطئ الوادي

الأمر أن ياموسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس
طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا أنا فاعبدني
وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى الخ الآيات فعند ذلك أنس موسى وذهب عنه الخوف
قال ياموسى انا اخترتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما أتيتك وكن من الشاكرين فقال موسى رب اشرح لي صدري
ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي أي يعرفوا
كلامي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي أشدد به أزري
وأشركه في أمري يعني ليكون عونا لي على الرسالة قال الله
سبحانه وتعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى ثم تذكر انه كان قتل نفسا
من قوم فرعون فخافهم فقال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف
أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون ثم قال
اذهبا أي أنت وهارون الى فرعون انه طغى أي في القول
والفعل فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا
نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى فيقتلنا قال لا تخافا انني
معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا
بني اسرائيل وهذه المخاطبة كانت له وحده والرسالة له ولأخيه
وأوحى الله الى هارون وكان من المقربين عند فرعون وبشره
الملك بالرسالة مع أخيه وأمره بأن يتلقى أخاه واحتمله الى شاطئ
النيل حيث اجتمع بأخيه موسى واجتمع موسى بأمه

الفصل الثالث عشر فيما جرى بين موسى وهارون وفرعون
من المحاورات والمعجزات

ثم اجتمع

ثم اجتمع بفرعون فقال له من أنت فقال أنا عبد الله ورسوله وكليمه فقال
فرعون ياموسى انك رسول الي وحدي فقال اليك والى جميع أهل
مصر فقال بماذا أرسلت قال بأن تقول لا اله الا الله وحده لا
شريك له وأن موسى عبده ورسوله قال فما برهانك قال موسى
ان جئتك بآية تؤمن قال نعم قال موسى لهارون أنزل من على
كرسيه ثم قال يا فرعون انا رسولا ربك اليك فأرسل معنا بني اسرائيل
ولا تعذبهم يعني بالبناء ونقل الأحجار قد جئناك بآية من ربك فتحير
فرعون لأن هارون كان من جلسائه ثم قال من ربكما ياموسى قال
ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وكان كلما تكلم موسى بشئ صدقه
هارون وقال فرعون ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين
وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي قال فعلتها اذا وأنا من
الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين
فقال فرعون وما رب العالمين فسأل (بما) وما هي لطلب الحقيقة
والكنه والرب سبحانه وتعالى لا يعلم حقيقته غيره فأجابه موسى بغير
ما طلب بل أجابه بالصفات على طريقة الأسلوب الحكيم يعني أنك يا
فرعون سألت سؤال جاهل لأن حقك أن تسأل عن الصفات التي
يمكن الكلام فيها وأما الذات فلا عبارة ولا اشارة تحكيها ولما لم يفهم
فرعون ذلك قال لقومه ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون
لأني أسأله عن الذات فيجيبني بالصفات قال موسى رب السموات
والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ربكم ورب آبائكم الأولين الآيات
ثم أمر موسى بالقاء عصاه فاذا هي حية تسعى تهيج كالجمل وقام حتى أشرف
على الحائط يقلع منه الأحجار بصوت كالرعد القاصف ففرت الناس

وآسية تنظر وفر فرعون وأقسم على موسى بحق التربية وبآسية الا ما كففها عنه فقال فرعون لقد جئت سحرا عظيما فهل عندك غير ذلك فقال موسى نعم فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها وهي بيضاء ولها نور فأقبل فرعون على قومه وقال ان هذا الساحر عليم الآية واستشارهم فأشاروا عليه بأن يجمع السحرة فجمعهم في صعيد واحد واجتمع الناس وجاء السحرة بسحر عظيم ونوعوه أنواعا حبالا وعصيا وسحروا أعين الناس فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فزال عن موسى الخوف وقال ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ثم ألقى عصاه فبطل ما القوه وسحروا به أعين الناس وظهر انه حبال وعصي لم تبرح من مكانها وانقلبت حية عظيمة وابتلعت سحرهم أي تخيلهم أعين الناس لا عين الحبال والعصي وقالت السحرة ما هذا السحر انا آمنا بربنا ثم خروا لربهم ساجدين فقال فرعون آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ثم بعث الله على بني اسرائيل الجراد والقمل والضفادع تقتحمهم والدم أي صير ماءهم دما وأمسك المطر عنهم وجاءهم الطوفان وجعل بين كل آية وآية أربعين يوما ومسخ منهم جانبا فجعلهم حجارة ثم ان آسية أظهرت انكارها على فرعون وقبحت له القول فقتلها

الفصل الرابع عشر في رحلة بني اسرائيل نحو الأرض المقدسة وغرق فرعون وجنوده

ثم أمر

ثم أمر موسى أن يرتحل ببني اسرائيل فارتحلوا وهم ستمائة ألف فسار فرعون في طلبهم بجنوده وهم أكثر من بني اسرائيل بكثير فلما تراءى الجمعان قال قوم موسى لموسى انا لمدركون وما أمامنا الا البحر وما خلفنا الا العدو فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثني عشر طريقا للأسباط الاثني عشر فجعلوا يسيرون فيه ويحدث بعضهم بعضا وموسى بين ايديهم وهارون من ورائهم وأقبل فرعون وأعوانه فنظروا الى البحر يابسا وأحبوا اللحوق ببني اسرائيل فتقدم فرعون بفرسه فنفر فتقدم جبريل بفرسه فتبعه فرس فرعون وتبعه جنوده وجعل ميكائيل يسوق آخرهم حتى نزلوا كلهم قاع البحر انضم عليهم وجعلوا يغرقون فعندها قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فلما أخبر موسى بهلاك فرعون وقومه لم يصدقوا فأمر الله البحر فألقاه على الساحل فرآه بنوا اسرائيل وصداقه قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ثم سار موسى ببني اسرائيل قاصدا الأرض المقدسة وظهر في طريقهم من بني اسرائيل أمور منها انهم رأوا أصناما لقوم فقالوا لموسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة قال موسى انكم قوم تجهلون ونهاهم وأمرهم بالاستغفار

الفصل الخامس عشر في تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى وفتنة السامري

ثم ان موسى عليه السلام استخلف أخاه عليهم وسار لميقات ربه وكان السامري لما رأى فرس جبريل عليه السلام لا تطأ على شيء الا تحرك

جمع من ذلك الرمل وقال لبني اسرائيل ان الحلي الذي اخذتموه من
بني اسرائيل هو خطيئة كبيرة عليكم فأخذه منهم وذوبه وصبه عجلاً
وجعل ذلك الرمل في جوفه فصار له خوار فقال هذا الهكم
واله موسى نسيه هنا وذهب يطلبه فمالت اليه فرقة وامتنعت أخرى
فقال لهم هارون ان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا
لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاهتم من ذلك ولم يمكنه
تأديبهم وخاف من وقوع الفتنة بينهم وأما موسى فان الله قربه
نجيا فسمع صرير القلم في اللوح المحفوظ ونودي ياموسى انني أنا الله
فاعبدني ولا تشرك بي شيئاً وظلل الغمام جبل الطور وكتب الله له
الألواح بقلم القدرة الالهية فقال رب أرني انظر اليك فأوحى
الله اليه انك لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال
سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين والمعنى ياموسى سألت شيئاً
لم يسأله أحد غيرك ولا تستطيع ذلك فانه لا يراني أحد الا صعق
وعلق سبحانه الرؤية على استقرار الجبل ولم يستقر الجبل بل صار
دكاً فعندها قال موسى سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين أي المصدقين
بانه لا يراك أحد في الدنيا وقال الشيخ الأكبر ابن عربي ان موسى
رأى الله تع ومن قال ان موسى ما رأى الله تع فقد جعل الجبل
أكرم على الله من موسى لأن الله تع قال فلما تجلى ربه للجبل
ولم يقل جلى ومعنى طلب موسى الرؤية انه طلب الرؤية من غير فناء
وهذا لا يكون وضرب الله له مثلاً بالجبل مع عظمه لم يطق التجلي

الذاتي

الذاتي وصار دكاً وخر موسى صعقاً وفني فعند ذلك حصلت الرؤية لموسى
وللجبل ومعنى قوله لن تراني أي لن تراني وأنت باق على وجودك من
غير فناء وهناك راء ومرئي ورؤية ثم رجع موسى فوجد أمر العجل
فأخذ بلحية هارون يلومه على ذلك فقال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي
ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع
القوم الظالمين فاستحيا موسى وضم أخاه الى صدره وسأل الله
المغفرة والرحمة لهما ثم عاتب بني اسرائيل والسامري وأراد قتله فأوحى
الله اليه لا تقتله فانه سخي في قومه ولكن أخرجه من عسكرك ثم كسر موسى
ذلك الصنم ونسفه في البحر ثم أقبل على بني اسرائيل الذين عبدوا العجل
وأمرهم بالتوبة فقالوا كيف نتوب فقال ليقتل من لم يعبد العجل من عبده
وأرسل الله عليهم ظلمة فغشيتهم ووقع القتل حتى خاضوا في الدماء
فدعا موسى الله تع فارتفعت عنهم الظلمة ثم أمرهم موسى بأحكام
التوراة فاستثقلوها فرفع الله فوقهم الجبل وقيل لهم ان لم تقبلوا أحكام
التوراة اسقطنا عليكم الجبل فقبلوها وطلب بنوا اسرائيل رؤية الله
سبحانه وتع جهرة فأمر الله موسى أن يختار سبعين منهم الى الطور
ثم نودوا من السماء يا بني اسرائيل فماتوا ثم أحياهم الله ورجعوا الى
معسكرهم وأخبروا قومهم بما حصل لهم وانهم لا قدرة لهم على الرؤية
ثم أمروا بان يدخلوا الأرض المقدسة ساجدين وأن يقاتلوا الجبارين
فاستثقلوا ذلك ثم أنزل الله عليهم المن والسلوى وأنبع لهم الحجر اثنتي
عشر عيناً وظلل عليهم بالغمام في التيه فسئموا ذلك وطلبوا الثوم والقثاء
ووصل اليهم خبر الجبارين فخافوهم وقالوا لموسى اذهب أنت وربك

يا ابن أم

وقيل لهم ان لم تقبلوا الخ

فقاتلا انا هٰهنا قاعدون فقال موسى ربي اني لا أملك الا نفسي وأخي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فأوحى الله اليه يقول فانها محرمة
عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين
وسلط الله عليهم التيهان ولم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن ولد بمصر
فكان كلما خرج واحد فلا يهتدي حتى يموت وأما المؤمنون فلا يموتون
وان تاهوا حتى انقرض آخرهم على رأس أربعين سنة ثم توفى الله تعالى
هارون في التيه ثم موسى بعده باحدى عشرة سنة لمضي ألف وستمائة وست
وعشرين سنة من الطوفان وعاش موسى ستين سنة واختلفوا في موضع قبره
فقيل عند الكثيب الأحمر شرقي القدس وقد بناه الظاهر بيبرس وله الموسم المشهود

الفصل السادس عشر في تعمير سيدنا داود وسليمان لمدينة القدس وللمسجد الأقصى
الشريف) **اعلم ان الله سبحانه وتعالى** لما أمر سيدنا داود ببناء بيت المقدس باشر
بنفسه وجعل ينقل الحجارة على عاتقه ومعه أحبار بني اسرائيل حتى
رفعه قامة رجل أوحى الله اليه اني لم اقض ذلك على يديك ولكن
ابنك سليمان يتمه وتوفي داود قبل اتمامه وأوصى ولده سليمان بتجديد
بيت المقدس وعين لذلك عدة بيوت مال عظيمة ثم لما تم الله نعمته
على سليمان وآتاه من الملك مالم يوت أحدا سواه وأخضع له
الانس والجن والوحوش والطيور وسخر له الريح شرع في تجديد
بيت المقدس حسب وصية أبيه وكانت مدينة كبيرة متصلة البناء من الطور
الى قبر شمويل المسمى قديما برامة وقبلة الى دير السنة وغربا ما ملا
وكان المسجد الأقصى بين عمران المدينة وهو مسجد واحد والصخرة
الشريفة في وسطه حتى بناه داود وسليمان عليهما السلام وعمل سليمان
عليه السلام في بنائه عملا لا يوصف وزينه بالذهب والفضة واليواقيت

والأحجار

والأحجار الثمينة في سمائه وجدرانه وأبوابه وسقفه بالعود اليلنجوج
فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى منه وأقام في بنائه سبع سنين وعمل
سورا خمسمائة ذراع في مثلها يحيط به ولقد اجتهد سليمان في بناء بيت
المقدس وشغل فيه أمما كثيرة من الانس والجن يقطعون الصخور والمرمر
والياقوت والزبرجد وأنواع اليواقيت وجعله روضة من رياض الجنة
وفرغ من بنائه ٥٤٦ من وفاة موسى عليه الصلاة والسلام اي لمضي ٤٤١١ من
آدم عليه السلام ولما فرغ سليمان من بنائه سأل الله تعالى ثلاثة أمور
الأول حكم يوافق حكمه والثاني ملك لا ينبغي لأحد بعده والثالث المغفرة
لمن قصد هذا المسجد مخلصا لا يريد الا الصلاة فيه ورتب سليمان كثيرا
من القراء يقرؤون فيه ليلا ونهارا وحين تم عمل دعوة عامة وقرب
القرابين وخطب وشكر الله تعالى بأنواع الشكر ودعى عند موضع كرسيه
من الحرم باستجابة طلب من يقصد هذا المسجد وغفران ذنبه ثم جرى
مع سيدنا سليمان أمر بلقيس الذي قصه الله تعالى علينا وكان لسليمان
وزير يسمى آصف بن برخيا وكان يحفظ الاسم الأعظم الذي ما سأل عبد
الله به الا أجابه وهو الذي قال لسليمان حين قال أيكم يأتيني بعرشها
قبل أن يأتوني مسلمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل
أن يرتد اليك طرفك وأتى بعرش بلقيس وهذه القضية من نوع
كرامات الأولياء لأن آصف لم يكن نبيا ثم توفى الله سليمان عليه الصلاة
والسلام وكان عليه السلام دعى الله تعالى وقال اللهم غم على الجن موتي
حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يظنون ثم في الصلاة
متكئا على عصى من خرنوب فمات قائما ولم يسقط وبقيت الجن تعمل الأعمال
الشاقة وهم يظنونه في صلاته مدة حتى أكلت الأرضة العصا فسقط حينئذ

فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته أي
عصاه فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين فظهر للأنس وللجن انهم لا يعلمون الغيب وتوفي عليه السلام
وعمره ثنتان وخمسون سنة ومدة ملكه أربعون سنة ويؤيد أن
الله تعالى سخر الجن لسليمان عليه السلام الحديث الشريف الذي رواه
البخاري بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان عفريتاً
من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فأخذته
فاردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه
كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد
من بعدي فرددته خاسئاً .

الفصل السابع عشر في تخريب بختنصر لبيت المقدس ثم تعمير ملك الفرس بهمن أو دارا له

(فائدة دارا هو ابن لبهمن)

ثم ان ذلك قد كان بعد مضي ثلاث وخمسين وأربعمائة سنة من
بناء سليمان عليه السلام له قصد بختنصر بيت المقدس وقد اختلف هل
كان ملكاً مستقلاً أم كان نائباً للفرس لملكهم المسمى لهراسف وهو
الأصح وسار بستمائة راية ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى
أفناهم وخرب بيت المقدس وأحرقه وهدم البيت الذي بناه سليمان
واحتمل منه ثمانين عجلة من الذهب والفضة واعانه على هدمه الروم
لبغضهم لبني اسرائيل وذلك في زمن صدقيا آخر ملوك بني اسرائيل
سنة تسعمائة وتسع وتسعين من وفاة موسى عليه السلام وهذه المرة
هي التي ذكرها سبحانه وتعالى بقوله وقضينا الى بني اسرائيل لتفسدن
في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا
عليكم

عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان
وعداً مفعولاً واذا جاء وعد الآخرة الآية وبين خراب بيت المقدس
والهجرة ألف وثلاثمائة وخمسون سنة وهرب فرقة من بني اسرائيل
الى الحجاز وفرقة الى مصر زمن فرعون الأعرج فطلبهم بختنصر
منه فامتنع من تسليمهم فسار اليه الى مصر وقتله وبقي بيت المقدس
خراباً سبعين سنة حتى عمره دارا أحد ملوك الفرس أو أبوه
بهمن وهو الأصح ويسمى عند اليهود كورش ومعنى بهمن بالعبرانية
الحسن النية وكان أمره الله تعالى بتعميره على لسان أرميا النبي ففعل
وأصعد الى بيت المقدس أربعين ألفاً من بني اسرائيل ورجعت
اليهم دولتهم وقربوا القرابين وعظم محلهم بين الأمم قال الله
تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم الآية وعاد البلد معموراً فتراجع اليها
بنوا اسرائيل من سائر الجهات سنة تسعين من ولاية بختنصر وجاء
العزيز ومعه جماعة من علماء بني اسرائيل فمثل لهم التوراة بعد
ضياعها وأصلح شأن بني اسرائيل وأحبوه حباً شديداً وصار لبني
اسرائيل ملوك من حكومة

الفصل الثامن عشر تمليك الاسكندر الأصغر ملك اليونان لبيت المقدس وقتل اليهود يحيى وزكريا ورفع عيسى عليه السلام الى السماء

ثم ان حكومة الفرس بقيت الى أن جاء الأسكندر الأصغر
سنة خمس وثلاثين وأربعمائة من ولاية بختنصر وقهر الفرس
ودخل بنوا اسرائيل تحت اليونان وذلك قبل الهجرة بتسعمائة
وأربع وثلاثين سنة وبقيت بنوا اسرائيل وبيت المقدس تحت
حكومة اليونان حتى خربت القدس الخراب الثاني وقد مات الاسكندر

بعد استيلائه على القدس لسبع سنين وهذا هو الاسكندر المذكور
في القرآن العظيم فان ذاك متقدم كان على زمن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ثم بعد ذلك أظهر الله النبي زكريا وابنه يحي عليهما السلام
وآتاه الله النبوة وهو صغير قال سبحانه وتعـ وآتيناه الحكم صبيا
وكان زكريا هو الذي تكفل بمريم لما مات أبوها وتنازعوا على
كفالتها لأن والدها كان ذا منزلة عظيمة عند بني اسرائيل فأخذها
زكريا عليه السلام لأن زوجته ايشاع أم يحي عليه السلام خالتها
أخت أمها ثم لما ولدت مريم عيسى عليه السلام من غير أب بل بنفخ
جبريل في جيب درعها باذن الله تعـ اتهم اليهود زكريا بها
وقتلوه وكان عمره نحو مائة سنة وأما يحي عليه السلام فانه نبي وهو
صغير ودعا الناس الى عبادة الله تعـ واجتهد حتى نحل جسمه وكان
عيسى عليه السلام قد حرم نكاح بنت الأخ وكان هيرودس ملك
بني اسرائيل في ذاك الوقت بنت أخ وأراد أن يتزوجها بما هو
جائز عند اليهود فنهاه يحي عليه السلام فطلبت أم البنت من هيرودس
قتل يحي فلم يجبها ثم طلبت منه البنت وألحت فعندها أمر به فذبح
وبعدها سلط الله على بني اسرائيل ملكا من جهة المشرق يقال له
خردوس قتل منهم نحو سبعين ألفا حتى قيل انه كلمه الرأس الشريف
وقال له لا تحل لك وغلى دمه ولم يسكن حتى قتل منهم المبلغ المتقدم
فعندها سكن الدم والمسيحيون يسمون النبي يحي عليه السلام يوحنا
المعمدان لأنه غمس المسيح وعمده في نهر الأردن وعندها قام المسيح
يدعو الناس الى عبادة الله سبحانه وتعـ، وكان عمر عيسى حينئذ ثلاثين سنة
ومكث في الأرض بعد بعثته عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين وكان

قتل

قتل يحي بعد بعثة المسيح بسنة ونصف وكان يحي حصورا أي معصوما
عن الذنوب لا يأتيها ولا يأتي الشهوات وكانت ولادة المسيح صلوات
الله عليه لمضي ثلاثمائة وأربع سنين للاسكندر ورفعه الله اليه وعمره
ثلاث وثلاثون سنة وبين مولده والهجرة النبوية ستمائة واحدى
وثلاثون سنة وأما مريم فاسم أمها حنه وكانت لا تلد فنذرت
ان رزقها الله ولدا جعلته خادما لبيت المقدس فحملت حنه وهلك
زوجها عمران وهي حامل فلما وضعتها انثى قالت رب اني وضعتها
أنثى وليس الذكر كالانثى أي وليس الذكر الذي نذرت كالأنثى
التي وضعت وكانت عادتهم لا ينذرون لخدمة البيت المقدس
الا الذكور ثم حملتها ووضعتها أمام الأحبار وقالت دونكم
هذه المنذورة فتنافسوا فيها لأنها بنت رئيسهم وكفلها زكريا
وكان من أحبتهم وقال أنا أحق بها لأن خالتها زوجتي وجعلها
منقطعة للعبادة في غرفة وكلما دخل عليها وجد عندها فاكهة
الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال يا مريم انى لك
هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
وكانت ولادة المسيح في بيت لحم ولما جائت به مريم تحمله قال لها
اليهود يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان
أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا وأخذوا الحجارة ليرجموها
فتكلم عيسى وهو في المهد قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما
دمت حيا فلما سمعوا كلام ابنها تركوها ثم أنها سارت الى مصر
وأقامت هي وابنها اثنتي عشرة سنة ثم رجعا الى الناصرة وبها سميت

النصارى وأقاما حتى صار عمر عيسى ثلاثين سنة فأرسله الله
تبارك وتعالى الى الناس وأظهر على يده المعجزات فأحيا عازر
بعد ثلاثة أيام من موته وجعل من الطين طائراً قيل هو الخفاش
وابرأ الأكمه والأبرص وأنزل الله عليه المائدة وأوحى اليه الأنجيل
وكان يلبس الصوف والشعر ويأكل من نبات الأرض وربما تقوت
من غزل أمه وكان الحواريون الذين اتبعوه اثني عشر رجلاً
ولما أعلم الله سبحانه وتعالى المسيح انه رافعه من الأرض دعا
الحواريين وصنع لهم طعاماً وقدمه اليهم وتولى خدمتهم
بيده فاستعظموا ذلك فقال انما فعلت ذلك ليكون علي هذا
قدوة لكم وأسوة وقال لهم ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح
الديك وليبعني أحدكم بدراهم يسيرة ويأكل ثمني وكان اليهود
قد جدوا في طلبه فحضر بعض الحواريين الى هردوس ملك بني
اسرائيل وأخذ منهم جعلاً دراهم يسيرة ودلهم على محله فحينئذ
رفع الله تعالى عيسى عليه السلام اليه والقى شبهه على الذي دلهم
عليه وقد اختلف في موته قبل رفعه فقيل رفع ولم يمت وقيل
بل توفاه الله تعالى ساعات ثم أحياه وتأول القائل بالأول
قوله تعالى اني متوفيك ورافعك بأجوبة منها الواو ولا
تقتضي ترتيباً ولا عكس ترتيب ومنها اني جامع عليك هذين
الأمرين وهما التوفي والرفع ومنها اني لا أسلط اليهود
عليك فيقتلوك بل أتوفاك وأرفعك الخ أي فيكون موتك
عند انتهاء أجلك على فراشك ولما أمسك اليهود الشخص
المشبه به أهانوه بأنواع الأهانات وصلبوه على خشبة

فمكث

فمكث عليها ست ساعات ثم استوهبه يوسف النجار من حاكم اليهود
فيلاطوس وهو هردوس ودفنه وأنزل الله المسيح من السماء الى
أمه مريم وهي تبكي عليه وقال لها ان الله رفعني اليه ولم يصبني الا
الخير وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الأرض رسلاً عن الله
وأمرهم أن يبلغوا ما أمرهم الله تعالى به ثم رفعه الله اليه وتفرق
الحواريون حيث أمرهم وكان رفع المسيح لمضي ثلاثمائة وست وثلاثين
سنة لغلبة الأسكندر على دارا وهم ونزل عليه عشر مرات وعاشت
أمه نحو ثلاث وخمسين سنة وبقيت بعد رفعه ست سنين ودفنت
بأسفل طور زيتا وكان رفع المسيح من على طور زيتا

الفصل التاسع عشر في غزو طيطس ملك روما بني اسرائيل وقتلهم القتل العام وتخريب القدس

ثم انه بعد رفع المسيح ملك بني اسرائيل عدة ملوك الى أن ملك روما
طيطوس الرومي فقصد بيت المقدس وأوقع باليهود وقتلهم وأسرهم
ولقد حصر من قتل من بني اسرائيل في هذه المحاربة مع الرومان فكان
[١٤٦٢٠٠] وعدد الأسرى [٩٧٠٠٠] الا من اختفى وخرب
بلدة القدس ونهبها وأحرق الهيكل وأحرق كتبهم وأخلى القدس
من بني اسرائيل ولم يعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم وهذه المرة
هي التي ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله فاذا جاء وعد الآخرة أي
من أفسادكم وهو قصدهم قتل عيسى حين رفع وقتلهم زكريا ويحيى
عليهم الصلاة والسلام فسلط الله عليهم من أفناهم قتلاً وأسراً فذلك
قوله تعالى ليسوؤا وجوهكم أي بادخال الهم والغم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً وبين هذا التخريب والتهجير

خمسمائة وثمان وخمسون سنة بالتقريب فكان ذلك الخراب العظيم لبيت المقدس
لسبع وستين سنة ميلادية وأمر طيطوس بأن تجر سكة الفلاحة فيها
اشارة الى تمام خرابها وهدم سور صهيون وبعد ما جرى على اليهود
من محاربة طيطوس لهم انكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم فتراجع اليها
كثير من النصارى وبنوا كنيسة كانت تبنى شيئاً فشيئاً في القديم وهدمت
في حصار طيطوس وتراجع اليها أيضا كثير من اليهود

الفصل العشرون في اهلاك الامبراطور ادريانوس الروماني لبني
اسرائيل وتخريبه القدس التخريب النهائي

فعند ذلك جاء الأمبراطور الروماني ادريانوس ومنع اليهود
من سكنى اورشليم وعمر الكنيسة السابقة وتممها ثم تراجع الى القدس اليهود
وحصنوها وشيدوها ولما بلغ الأمبراطور ادريانوس ان اليهود
تراجعوا الى القدس وهم يعمرونها ليخرجوا عليه أرسل عساكره وقتل أكثر
اليهود وخرب المدينة وجعلها ساحة واحدة وفلحها وزرعها حتى
صارت قاعاً صفصفاً وفي هذه الحرب انتهى خراب اورشليم وتلاشت
دولة اليهود وتشتت شملهم وانتشروا في أقطار الأرض وكانت
هذه سنة مائة واثنين وثلاثين ميلادية ثم بعد مضي أجيال من ذلك رغب
الرومان في سكنى بيت المقدس وكذلك اليهود فكان النصارى
يترددون الى موضع القبر يصلون فيه وكان اليهود يطرحون عليه
الزبل ثم أخذه الرومان ونظفوه وبنوا عليه هيكلا على اسم الزهرة
وكان الرومان يولون على أورشليم قضاة ثم انه تراجعت العمارة
شيئاً فشيئاً وترمم بيت المقدس حتى سارت الملكة هيلانة أم
قسطنطين الى القدس وكان ابنها قسطنطين ملكا في رومة ايطالية

ثم

ثم انتقل الى القسطنطينية وبنى سورها وتنصر وكان قبل ذلك يعبد
الأصنام ولما وصلت الى القدس أخرجت خشبة الصليب وأقامت
لذلك عيد الصليب وبنت كنيسة القمامة التي يقول المسيحيون ان
المسيح دفن في القبر الذي فيها ٣٢٦م ميلادية وبنت المكان المقابل
للقمامة المعروف بالدركاة وكنيسة بيت لحم وكنيسة طور زيتا
وكنيسة الجسمانية وهي التي بها قبر مريم عليها السلام وغير ذلك
وخربت هيكل البيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام الى الأرض
وهو موضع الصخرة ونقلت منه كثيراً من الأعمدة الى عمارة القمامة
وغيرها وأمرت أن يلقى في موضعه قمامات البلد وزبالته وذلك
بغضا في اليهود وبقي ذلك الى الفتح العمري كما سيأتي ان شاء الله
تعالى وفي مدة سلطنة قسطنطين ألزم اليهود في القدس بأن
يتنصروا فتظاهر الكثير منهم بالنصرانية ولكنهم لم يأكلوا لحم الخنزير
وامتنع بعضهم عن التنصر فقتل الكثير منهم وفي سنة ثلاثمائة واحدى
وستين أتى الأمبراطور يوليانان لمحاربة الشرق وكان أولاً قد
تنصر ثم رجع الى الديانة الوثنية وأخذ في جمع اليهود الى اورشليم
وابتدأ في بناء هيكلهم ثم كف عن ذلك وفي ٥٢٩م بنى الملك جوستنيان
الأول كنيسة عظيمة على اسم العذرا وهي المعروفة في الأعصر الأخيرة
بالأقصى وبعد ذلك بمدة وجيزة وقع الحرب بين الرومان
والفرس والعرب وأخذت الفرس تفتح حصون الرومان وغلبوا
في الاستيلاء على بلادهم وأول من حاربهم كسرى الثاني والمنذر
ملك العرب الذي كان خاضعاً له وقد استولى كسرى على عدة
بلدان الرومان منها أورشليم وفي ٥٩١م أرسل برويز ابن

كسرى خسروية مرزبانة الى القدس وأمره بقتل اليهود وخراب
القدس فسار برويز وبعد أن خرب الشام والخليل والناصرة
وصور والقدس وقتل كثيرين من النصارى وخرب كنائس
كثيرة ونهب أموالاً وافرة مع قطعة من عود الصليب أتى الى
كسرى بالسبي والغنائم ولما رأى اليهود أن بلاد الشام قد خلت
من الرومان ورأوا أن الفرس يحاصرون القسطنطينية اجتمعوا
من القدس وطبرية وقبرس ودمشق فكان نحو عشرين ألفا وأتوا
الى صور ليملكوها وكان بها من اليهود نحو أربعة آلاف ولم
يزالوا في حصارها الى أن رجع كسرى من القسطنطينية وهزمهم
ثم في سنة ستمائة وثمانية وعشرين ميلادية حاصر القدس بعسكره
هركليوس المعروف بهرهل واسترجعها للرومان ودخل
بجيوشه اورشليم وبقيت تحت ادارته الى سنة ستمائة وأربع وثلاثين
ميلادية الموافقة سنة خمس عشر هجرية فعندها استولى عليها عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما سيأتي ان شاء الله تعالى قريباً .

الباب الثاني فيما ورد في فضله وذكر سيرته من زمن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم الى أن افتتحه السلطان المعظم يوسف صلاح الدين الأيوبي وفيه عشرة فصول

الفصل الأول في ذكر بعض فضائله

قال الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى الآية والمراد ببركة ما حوله كونه مقر
الأنبياء وقبلتهم ومهبط الملائكة والوحي وفيه يحشر الناس يوم
القيامة وسمي بالأقصى قيل لبعده عن المسجد الحرام وقيل لأنه

وسط المعمور ويقال بما حوله أرض الشام فانها مباركة يطيب فيها
عيش الغني والفقير كثيرة الأنهار والأثمار والأشجار وأقسم الله سبحانه
وتعالى به في قوله سبحانه وتعالى والتين والزيتون روي أن المراد
بالزيتون البيت ومن أسمائه ايلياء ومعناه بيت الله المقدس أي
المطهر من الذنوب ومن أسمائه اورشليم ومعناه بالعبرانية بيت
السلام وقال تعالى اخباراً عن موسى عليه السلام واذ قال موسى لقومه
يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة الآية أي المطهرة لأنها يتطهر
العباد فيها من الذنوب. وقيل في قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الأرض
التي باركنا فيها للعالمين هي بيت المقدس وكذلك في قوله ان الأرض
يرثها عبادي الصالحون. وفي قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار
ومعين وفي قوله تعالى يوم ينادي المنادي من مكان قريب المنادي
هو اسرافيل ينادي من صخرة بيت المقدس. وروى الامام أحمد في
مسنده من حديث امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال
طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم
ولا ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا يا رسول
الله وأين هم قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس. وقيل في قوله
تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقد تقدمت وكررت
لكثرة الأقوال فيها هي بيت المقدس. ولقد ورد في بعض الآثار أربع
من مدائن الجنة مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس. وروى الامام
أحمد في مسنده عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضلت
الصلوة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة
وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة. وعن أم سلمة زوج النبي

صلى الله عليه وسلم انها سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول من أهل
بحج أو عمرة من المسجد الأقصى الشريف الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة وقد أحرم منه عمر ابن الخطاب
رضي الله تعالى عنه وقال مقاتل ابن سليمان ما في بيت المقدس موضع
شبر الا وصلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب والآثار والاخبار
في فضل بيت المقدس كثيرة جدا مبسوطة في محالها .

الفصل الثاني من الباب الثاني في استخلاف ابي بكر لعمر رضي الله عنهما

اعلم انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لسنة عشرة من الهجرة
تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان يدعى خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وله المواقف الرفيعة في الاسلام ثم ختم ذلك
بمسلم هو من أجل مناقبه وهو استخلافه عمر رضي الله عنهما بعد مشاورة
جماعة من الصحابة فأشاروا بذلك ثم دعي عثمان بن عفان وقال
أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه أبو بكر في آخر عهده
بالدنيا وعند أول عهده بالآخرة حين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر
ويصدق الكاذب أني مستخلف عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا
فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب
والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون
ثم خرج بالكتاب الى الناس فبايعوا عمر ورضوا به ولما أراد أبو
بكر أن يقلد عمرا الخلافة قال عمر أعفني يا خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاني غني عنها قال بل هي فقيرة اليك قال ليس لي بها حاجة قال هي محتاجة
اليك فقلده الخلافة على كره منه ثم أوصاه بما أوصاه ثم توفي أبو
بكر رضي الله عنه لثمان من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة وله

ثلاث وستون سنة وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال فبويع
لعمر وهو أول من سمي بأمير المؤمنين ويجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في كعب ابن لوي وأول خطبة خطبها قال يا أيها الناس والله ما — مطلب خطبة
فيكم أحد أقوى من الضعيف عندي حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي
من القوي حتى آخذ الحق منه وكان أبو بكر رضي الله عنه جيش الجيوش وأرسلها
الى الشام وكان الجيش وقت وفاة ابي بكر قد فرغ من وقعة اليرموك
وقصد دمشق فورد عليهما كتاب من أمير المؤمنين عمر يعلمهما بوفاة أبي
بكر وبتأمير أبي عبيدة قائداً على الجيش بدلاً عن خالد ابن الوليد ثم
حاصروا دمشق وفتحوها ثم فتحوا حمص وحماه والمعرة واللاذقية وجبلة
وطرطوس وحلب وانطاكية ونابلس ويافا واللد .

الفصل الثالث من الباب الثاني في نزول أبي عبيدة بجيشه على القدس الشريف

ثم انه لما دخلت سنة خمس عشرة سار أبو عبيدة والعسكر بالأردن وكتب الى — مطلب كتاب
أهل ايلياء بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة ابن الجراح الى بطارقة أهل
ايلياء وسكانها سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول أما بعد
فانا ندعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان الساعة
آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فان شهدتم بذلك
حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا اخوانا وان أبيتم فاقروا
لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون وان أنتم ابيتم سربت اليكم بقوم
هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل الخنزير ثم لا أرجع عنكم ان
شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم وكتب الى أمير المؤمنين — مطلب كتاب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر بن الخطاب
أمير المؤمنين من أبي عبيدة ابن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله اليك

الذي لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذي أهلك المشركين و نصر المسلمين
وأعز دعوتهم وأظهر فلاحهم و تبارك الله رب العالمين أخبر أمير
المومنين أكرمه الله انا لقينا الروم وهم جموع لم تلق المسلمون مثلها جموعًا
فاتونا وهم يرون أن لا غالب لهم من الناس أحد فقاتلوا المسلمين قتالًا
شديدًا ما قوتلوا في موطن قط مثله و نصر الله المؤمنين وأنزل عليهم
الصبر و قتل الكافرين في كل قرية وشعب وجبل وسهل و غنم الله المسلمين
أموالهم و متاعهم ولقد اتبعناهم الى أقصى بلاد الشام و بعثت لهم عمالي
وكتبت كتابًا الى أهل ايلياء أدعوهم الى دين الله و طاعته أو أن يعطوا
الجزية والا قاتلناهم والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته وكتب اليه عمر رضي
الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الى
ابي عبيدة ابن الجراح سلام عليك فاني احمد (اليك) الله الذي لا اله الا هو أما
بعد قد أتاني كتابك و فهمت ما ذكرت فيه من اهلاك الله المشركين ونصره
المؤمنين وما صنع بأوليائه وأهل طاعته والحمد لله على حسن صنيعه الينا فتمم
الله تعالى ذلك بشكره اعلموا انكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا قوة
ولا حول ولكن بعون الله و نصره ومن فضله فلله الطول و المنة والفضل
العظيم و تبارك الله أحسن الخالقين والحمد لله رب العالمين والسلام عليك
ثم ان أبا عبيدة سار الى ايلياء لما أبى أهلها الانقياد وحاصرها فقاتلهم
خالد ابن الوليد بجيشه فهزمهم فتحصنوا بحصنهم .

مطلب كتاب

الفصل الرابع من الباب الثاني في كتابة لعمر بحضوره لفتح بيت المقدس)

ثم انه لما اشتد الحصار على أهل بيت المقدس قالوا نصالحكم على أن
يكون خليفتكم عمر هو الذي يعطينا العهد ويكتب الأمان وحلفوا على
ذلك فكتب أبو عبيدة الى عمر رضي الله عنه كتابًا مع وفد من المسلمين

وو فد

وو فد من الروم ولما وصل المرسلون الى المدينة وجدوا أمير المؤمنين
عمر رضي الله عنه زاهدًا ليس له رغبة في الدنيا ولا بجميع الحظوظ والشهوات
قد ألقى نفسه حين أصابه الحزن تمامًا على الأرض فقالوا بهذا غلب الأمم
وأخذ كنوز كسرى وقيصر وغلب فارس والروم فقرأ عمر الكتاب على
رؤساء المسلمين واستشارهم فأشار عثمان بعدم ذهابه وقال انهم
ولله الحمد مقهورون على كل حال ومخذولون وأشار علي رضي الله
عنه بذهابه وقال يا أمير المؤمنين ان في ذهابك نصرًا وعزًا للمؤمنين
وخزيًا وصغارًا وذلًا على الكافرين ولك فيه الأجر والثواب في مشقات
ذلك السفر وأتعابه فاختار عمر المسير وقال نادوا بالمؤمنين بالمسير
فعسكر خارج المدينة وجوه قريش والأنصار والعباس عم النبي صلى الله
عليه وسلم حتى تكامل الجيش فجعل على المدينة علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه وسار وقل غداة الا وهو يقبل بوجهه على المسلمين ويقول الحمد لله
الذي أعزنا بالاسلام وأكرمنا بالايمان ورحمنا بنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم فهدانا به من الضلالة وجمعنا به بعد الشتات وألف بين قلوبنا
ونصرنا به على الأعداء ومكن لنا في البلاد وجعلنا اخوانا متحابين فا
حمدوا الله عباد الله على هذه النعمة واسألوه المزيد منها والشكر عليها
وتمام ما أصبحتم متقلبين فيه منها فان الله يتم نعمته على الشاكرين فلما قاربوا
بيت المقدس فاذا الرايات والرماح والجنود قد أقبلت لاستقبال عمر
رضي الله عنه وأقبل المسلمون يصفون الخيل ويشرعون الرماح في طريق
عمر رضي الله عنه حتى طلع أبو عبيدة في عظيم الناس فاذا بعمر على قلوص
قد أكفها بعباءته و خطامها من شعر لابسًا سلاحه فلما نظر الى عمر أناخ
كل منهما راحلته ولما أراد المصافحة أخذ أبو عبيدة يد عمر فقبلها فقال عمر مه

مطلب موعظة

يا أبا عبيدة واهوى ليقبل رجل أبي عبيدة فتراجع ابو عبيدة وقال مه يا امير
المؤمنين فعندها تعانقا وسارا يتحدثان ويحكى انهم لقوه قبل ذلك ببرذون
وثياب بيض وكلموه ان يركب البرذون ويطرح فروته ويلبس الثياب
فأبى فألحوا عليه فركب البرذون بفروته وثيابه فلما رأى البرذون يتملج
به ويتمايل نزل عنه وركب ناقته وقال لهم لقد غيرني هذا حتى خفت ان
اتكبر وانكر نفسي فعليكم يا معشر المسلمين بالقصد فانما اعزكم الله تعالى به
وروى طارق ابن شهاب قال لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة
في نهر فنزل عن بعيره ونزع جرموقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه
بعيره فقال له ابو عبيدة لقد صنعت اليوم صنعاً عظيماً عند اهل
الارض فقال له عمر لو غيرك يقولها يا ابا عبيدة لجعلته نكالاً للعالمين
انكم كنتم اذل الناس واحقر الناس واقل الناس فاعزكم الله تبارك
وتعالى بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله تعالى ويروى
ان عسكر المسلمين ظهروا على ارض فيها كرم عنب فجعلوا يأكلون منه
فأتاهم رجل من النصارى له ذمة فجاء ذلك الذمي الى عمر واخبره بذلك
فعندها ركب عمر فرساً عرياناً من العجلة وسار لمحل الكرم وتحقق عن
السبب في ذلك فوجد من اكل من ذلك الكرم انما اكل لمخمصة شديدة
وفاقة فاعطى الذمي ثمنه كما حال واباحه للمسلمين

الفصل الخامس في مجيء عمر اليه وعقده الصلح لاهل بيت المقدس

ولما قدم عمر رضي الله عنه بيت المقدس نزل على الجبل الشرقي وهو الطور
وجاءه رسول بطريقها بالترحيب وقال انا سنعطي بحضورك ما لم نكن نعطي
لأحد دونك وسأله ان يقبل منهم الصلح والجزية وان يعطيهم الامان على دمائهم
واموالهم وكنائسهم فقبل عمر بذلك وسأله الامان لصاحبه ليتولى مصالحته

ومكاتبته فأعطاه فعندها خرج اليه بطريقها حفريوس وكان قد أخبر
النصارى من قبل مجيء عسكر المسلمين الى بلاد الشام بأن الله يفتح
البيت المقدس على يد عمر بن الخطاب من غير قتال فلما تم كتاب
الصلح طلب عمر من البطريق حفريوس أن يدله على مسجد داود
عليه السلام فقال نعم فسار عمر متقلداً بسيفه في أربعة آلاف
من الصحابة متقلدين سيوفهم حتى دخلوا المسجد الأقصى ووجدوا
على الصخرة شيئاً كثيراً من روث الدواب والقمامة ونحو ذلك
تلقيه الروم غيظاً لبني اسرائيل وسأل عمر كعباً وشاوره في مكان
بناء المسجد فأشار كعب ببنائه شمال الصخرة ليكون متوجهاً الى
القبلتين فقال له عمر لقد ضاهيت اليهود وامر ببنائه جنوب الصخرة
وجعل يرفع الروث عن الصخرة بعباءته وساعده المسلمون في
ذلك ثم ارتحل أمير المؤمنين الى فلسطين وتم هذا الفتح سنة خمسة
عشر هجرية وقال عمر لأبي عبيدة لم يبق أمير من أمراء الأجناد الا
استزارني الا أنت يا أبا عبيدة فقال أبو عبيدة اني أخاف أن
تعصب عينيك اذا دخلت بيتي فلما أتاه امير المؤمنين الى داره
فاذا هو لم يلق داخله الا لبد فرسه واذا هذا فراشه وسرجه
ووسادته واذا كسيرات في كوة بيته فجاء بها فوضعها على
الأرض بين يديه ومع ملح جريش وكوز خزف فيه ماء فلما نظر عمر
الى ذلك بكى ثم قال له أنت أخي والتزمه وقال ما من أحد من
الأصحاب الا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك يا ابا عبيدة
ثم ان عمر قام خطيباً في الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله وصلى
على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل الاسلام ان الله قد

صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء وأورثكم البلاد ومكن لكم في
الأرض فلا يكون جزاؤه منكم الا شكرا وإياكم والعمل بالمعاصي
فان العمل بالمعاصي كفر للنعم وقل ما كفر قوم بما أنعم الله عليهم
ثم لم يفزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم ثم
حضرت الصلاة فقال الا تؤذن يا بلال فقال بلال والله ما أردت
أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن سأطيعك
اذا أمرتني بهذه الصلاة وحدها فلما أذن تذكر الصحابة النبي
صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا

الفصل السادس في رجوعه الى المدينة ووفاته رضي الله عنه]

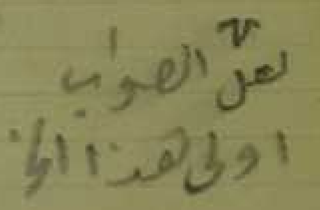
ثم انه لما انصرف أمير المؤمنين بعد ذلك الى المدينة واجتهد في اقامة
شعائر الاسلام والجهاد لأعلاء كلمة الله ولم يزل كذلك حتى
توفي رضي الله عنه، روي انه قد خرج لصلاة الصبح فلما وقف
يصلي ضربه ابو لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة وهو يصلي صلاة
الفجر بخنجر براسين طعنه به ثلاث طعنات وطعن اثني عشر رجلا
فمات منهم ستة ثم نحر نفسه بخنجره فمات ولما طعن عمر رضي الله عنه
سقط على الأرض ثم قال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا
نعم قال مروه يصلي بالناس وقال لولده عبد الله انظر من الذي قتلني
قال أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة فقال الحمد لله الذي لم يجعل
قتلي على يد مسلم ثم أرسل ولده عبد الله الى أم المؤمنين عائشة
رضي الله عنها وقال قل لها ان عمر لا هو بربه فهل تأذنين له
أن يدفن مع صاحبيه فلما قيل لها ذلك بكت وقالت كنت أشم
رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي بكر فلما توفي كنت

أشمها في أمير المؤمنين عمر وتأوهت وقالت مالي ولله نبأ أفقد الاحباء
فيها واحدا بعد واحد ثم قال قالت بلغ أمير المؤمنين مني السلام وقل
له الا انها كانت قد ادخرت ذلك لنفسها آثرتك على نفسها فلما رجع
سأله فقال قد اذنت فقال الحمد لله ما كان شيئ أهم علي من ذلك
ثم قال له اذا انا قبضت فارجع اليها واستأذنها ثانيا فلعلها أذنت
حياء مني وانا حي وأوصاهم أن يقتصروا في كفنه وقبض رضي الله
عنه آخر ذي الحجة سنة ٢٣ من الهجرة وحمل على سرير رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصلى بهم عليه صهيب الرومي رضي الله عنه وأنزله
في قبره عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف .

الفصل السابع في ذكر سيرته وبعض مناقبه رضي الله عنه]

ثم ان مدة خلافته قد كانت عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام
وتوفي وعمره ثلاث وستون سنة كعمر النبي صلى الله عليه وسلم وعمر أبي
بكر وعلي وعائشة على الصحيح وفضائله أكثر من أن تذكر أو تحصر
جاهد في الله حق جهاده فجيش الجيوش وفتح البلاد ومصر الأمصار
وأيد الله به دين الأسلام انتشر في أقاليم الأرض في الطول منها والعرض
واجلى اليهود وغيرهم من جزيرة العرب وفي أيامه فتح عراق
العرب والعجم وفارس والروم وبلاد الشام ومصر وهو الذي
اختط البصرة ووسع المسجد الحرام وعمر مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسجد الأقصى وهو أول من جمع الناس لصلاة
التراويح وأول من كتب التاريخ وأول من عس بالليل وأول
من نهى عن بيع أمهات الأولاد وأول من جمع الناس على أربع
تكبيرات على الجنازة وكانوا يكبرون أربعا وخمسا وستا وأول

من حمل الدرة وضرب بها و دون الدواوين في الاسلام ولقد
وافق رأيه القرآن و نزل القرآن مؤيداً لرأيه في نيف وثلاثين
موضعاً منها تحريم الخمر واتخاذ مقام ابراهيم مصلاً والأذان وآية
الحجاب للنساء وأسرى بدر الخ ولقد وردت في فضله أحاديث
صحيحة ثابتة منها قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الأسلام
بأحب العمرين اليك وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق
على لسان عمر وقلبه وقوله صلى الله عليه وسلم ان يكن في أمتي
محدثون فمنهم عمر وقوله صلى الله عليه وسلم ما سلكت فجاً الا
وسلك الشيطان فجاً غير فجك يا عمر وهي أحاديث كثيرة وآثار
شهيرة ليس هذا المختصر محلاً لأيرادها ومن خصائصه رضي الله
عنه انه كان قبل أن يلي الخلافة يشتغل في الزراعة ويكتسب
لعياله فلما ولي الخلافة واتسع أمرها عليه وجند الأجناد
والجيوش وكثرت الغزوات والفتوحات لم يكن يمكنه حينئذ الا
التفرغ لأمور الخلافة فكان اذا صرف في نفقة عياله من بيت
مال المسلمين شيئاً كتبه حتى اذا طعن قال لولده عبد الله يا ولدي
اني كنت اكتسب للعيال قبل أن ألي هذا الأمر وبعد أن وليته
لم يمكني ذلك ولقد استدنت من بيت المال هذا المقدار وصرفته
عليكم فاذا أنا قدمت على الله تعالى فبع بيتنا هذا وسدده لي
بيت المال فان وفى بما استدنته فبها والا فانشد بني عمي وقل
لهم وفوا ذمة ابن عمكم ففعل ولده ما أوصاه به والده وباع
دارهم وهي المعروفة الآن في المدينة بدار القاضي، ومن
أخلاقه رضي الله تعالى عنه انه كان يتفقد الأرامل والايتام وربما



حمل اليهم القوت على عاتقه وخدمهم بنفسه ومع ذلك كان
يقول ليت أم عمر لم تلد عمر ويقول ليتني أنجو منها رأساً برأس
ومناقبه رضي الله تعالى عنه اكثر من أن تحصر مشهورة ومنثورة في كتب
السير .

الفصل الثامن من الباب الثاني في عمارة عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة وللأقصى الشريف

اعلم انه لما مضى على الخلافة ثلاثون سنة وتممها سيدنا الحسن رضي
الله تعالى عنه بستة أشهر اختار ما عند الله واصلح الله به بين فئتي المؤمنين
وسلم بالخلافة وتنزل عنها لسيدنا معاوية ثم لما مضى من الهجرة خمس
وستون سنة وتنقلت الخلافة بين الملوك بويع لعبد الملك بن
مروان ولقب بالموفق لأمر الله وهو أول من ضرب الدراهم والدنانير
في الاسلام وكان النقش على الوجه الأول الله الأحد والثاني الله
الصمد وفي سنة ست وستين بعث الكتب الى سائر الأمصار واستشار
الرعية في أن يبني مسجد الأقصى الشريف وقبة الصخرة فوردت الكتب
عليه بتصويب هذا الرأي واستحسانه فأرصد لعمارته خراج مصر
سبع سنين ووكل أبا المقدام رجاء ابن حياة بعمارته وابن سلام
مولى عبد الملك ولما تم على أحسن ما يرام فضل من المال نحو مائة
ألف دينار فأمرها بأن تسبك وتفرغ على القبة وأمرها
بصنع لبود وأدم توضع من فوقها لتقيها الأمطار والثلوج وتصفيح
الأبواب بالذهب وبعمل درابزين حول الصخرة الشريفة ومن خلفها
ستور الديباج ورتب لها كثيراً من الخدم وكثيراً من العطريات
والعنبر والعود والبخور وباخر الذهب والفضة وهكذا
أشياء كثيرة تدل على تمام اعتناء عبد الملك بهذا الحرم الأقصى

والصخرة وكان الفراغ من هذا البناء ٧٦ وكان المسجد الاقصى
من السور الشرقي الى جامع المغاربة وكانت أبوابه قريبا
من خمسين بابا وفيه من الأعمدة الرخام شيئ كثير وفيه من القباب
خمس عشرة قبة سوى قبة الصخرة وجعل على ظهره الرصاص وبالجملة
جعله عبد الملك جنة على وجه الأرض ولما ملكه الصليبيون كما
سيأتي انشاء الله تعالى هدموا منه كثيرا وغيروا أشياء ونقلوا
منه كل ما استحسنوه .

الفصل التاسع في ذكر شئ من سيرة عمر بن عبد العزيز

ثم لما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك أراد أن يتخذ بيت المقدس
دار اقامته وكان رحمه الله يعظم العلماء، قال ابن سيرين رحم
الله أخي سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بخير فصلى الصلاة
في مواقيتها وختمها بخير فاستخلف عمر بن عبد العزيز ولقد أتته
الوفود بالبيعة فكان يجلس في قبة صحن المسجد المعروفة بقبة
سليمان ويأذن للناس فيجلسون توفي ٩٩ فتولى عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعالى عنه مكرها حيث ان الناس أيضا اختاروه فصعد
منبر جامع دمشق وقال أقيلوني منها رحمكم الله فانه لا قدرة لي
على حملها فصاح الحاضرون وقالوا لا نقيلك أنت رجل صالح
تعدل بين الرعية فنزل ثم صعد وأعاد قوله السابق وأعاد
الناس وضجوا وبكوا ثم نزل وصعد أيضا وأعاد ذلك فزاد
الناس في الضجيج والامتناع والبكاء فنزل رضي الله تعالى عنه وقد
حدب ظهره وذهب الى داره وقال لزوجته فاطمة وبقية أزواجه
الثلاثة انه قد نزل بي أمر مهم قصم ظهري ولم يبق لي شهوة في

النساء

النساء فمن كانت ترضى بالبقاء عندي بدون ذلك فلتبق ومن لم ترض
فلتذهب لأهلها فبعد ذلك لم تبق عنده الا زوجته فاطمة وهي ابنة
عمه وهذا الرجل لم يوجد بعد الخلفاء الراشدين مثل زهده وصلاحه وخوفه
من حضرة الله وعدله وورعه ومكارم أخلاقه وحسن سيرته وهو في
الحقيقة مقتدى الأولياء العارفين يضرب بينهم فيه المثل ولنذكر بعض مناقبه
رضي الله عنه فمنها أن زوجته كان لها حلي من ذهب ويواقيت وكان أتاها
من جهة أبيها فقال لها عمر ان أباكي أخذه من بيت مال المسلمين من غير
حق فاما أن تردينه الى بيت المال واما أن أفارقك فردته الى بيت
المال ومنها انه كان قبل أن يلي الخلافة يؤتى اليه بالثوب وقيمته ثلاثمائة
وأربعمائة دينار فيقول هذا وجدتم لي أخشن منه ولما ولي الخلافة وزهد
في الدنيا صار يؤتى اليه بالثوب وثمنه خمسة دراهم فيقول هذا وجدتم
لي أرخص منه فقال له يا أمير المؤمنين كيف وقد كان أولا لا يعجبك
الثوب الذي قيمته ثلاثمائة دينار فيقول عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى
عندي ذهبها ومدرها وكان اذا احضر خراج الهند وفيه العود والعنبر
منخريه ويقول انه ليس مالي بل مال المسلمين وكان يأكل الخبز الشعير
بالدقة وكانت عادته قبل أن يلي الخلافة أن يقوم الليل فلما وليها
بقي على عادته وصار يستعين على ذلك بالنوم في بعض النهار فقال له
ولده عبد الله وكان صالحا موفقا كيف تلي أمور المسلمين وتنام عن مهامهم
وأشغالهم فقال رضي الله عنه نعم ما أرشدتني اليه يا ولدي أسعدك
الله ووفقك وصار بعد ذلك لا ينام في النهار مع أنه يقوم الليل في
عبادة ربه سبحانه وتعالى وانما ينام مغلوبا وهو جالس وكان يبكي حتى يبكي
الدم من خوفه من الله تعالى حتى تقرحت جفونه وحفرت دموعه محاجره

قال بعض جيرانه سمعت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في جوف الليل يبكي
بكاء الحزين ويتململ تململ السقيم ويقول يا دنيا الي تعرضت أم الي تزخرفت
غري غيري فلقد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك ان عمرك قصير
وبلاك كثير وترجمة أحواله كبيرة رضي الله عنه توفي في دير سمعان وخمسة اشهر
بحمص ١٠١هـ وخلافته سنتان ثم في ١٣٠هـ حصلت زلزلة عظيمة في القدس
وقع بسببها أكثر الأقصى فقيل لأبي جعفر المنصور العباسي في ذلك
فقال ما عندي شيء أعمره به وأمر بقلع صفائح الذهب والفضة من على
الأبواب وعمره بها ١٤٥هـ وهو الذي عمر بغداد ١٤٦هـ ثم جاءت زلزلة
أخرى فانهدم ما عمره المنصور زمن المهدي فأمر بعمارته وقال زيدوا
في عرضه ونقصوا من طوله فلقد رث هذا المسجد وطال وخلي من
الرجال ولما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل جامع دمشق فقال
لكاتبه أبي عبد الله الأشعري يا أبا عبد الله لقد فاقتنا بنو أمية بثلاث
فقال وما هي قال بهذا المسجد فإني لا أعلم على وجه الأرض مثله
وبعمر بن عبد العزيز فانه لا يكون فينا مثله وبنبل الموالي فان لهم موالي
ليس لنا مثلهم ولما دخل صخرة بيت المقدس قال وهذه الرابعة،
ويحكى عن ذي النون المصري انه قال قرأت على صخرة في بيت المقدس
فترجمت الى العربية فاذا هي كل عاص مستوحش وكل طائع مستأنس
وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل
ثم انه بقي البيت المقدس تحت خلفاء بني العباس الى زمن المقتدر
بالله أواخر سنة ست وتسعين ومائتين فعندها تغلبت الدولة
الفاطمية على الديار المصرية والشامية ومكة واليمن وبيت المقدس
وأولهم عبيد الله المهدي بالله الذي ينسبون اليه ثم ابنه محمد القائم

بأمر

بأمر الله ثم ابنه المنصور ثم ابنه المعز لدين الله يأتي القاهرة على
يد قائده جوهر الرومي فاتح مصر وباني الجامع الأزهر ثم
ابنه المنصور العزيز بالله ثم ابنه الحاكم بأمر الله الذي أمر بتخريب
كنيسة القمامة ثم ابنه الظاهر لإعزاز دين الله ثم المستنصر بالله
الذي مكن الصليبيين من اعادة كنيسة القمامة ثم ابنه احمد المستعلي
بأمر الله وفي أيامه ضعفت دولتهم واختل أمرهم

الفصل العاشر في استيلاء ملك الافرنج عودافرو بردويل على بيت المقدس

وفي ٤٩١ سار الافرنج الى الشام واستولوا على انطاكية والمعرة
وقتلوا فيها ألوفا من المسلمين وصالحهم أهل حمص ثم في ٤٩٢ ساروا
في نحو ألف مقاتل وحصروا بيت المقدس واستولوا عليها
وقتلوا من المسلمين ألوفا كثيرة وغنموا ما لا يقع عليه الحصر ومعظم
ما وضعه عبد الملك من الذهب والفضة والقناديل وجاسوا خلال
الديار وكان وعدا مفعولا ثم جمعوا جميع ما في القدس من المسلمين
واشترطوا عليهم أنهم متى تأخروا عن الخروج بعد ثلاثة أيام
قتلوهم وذهب الناس هاربين الى العراق وغيرها وندبوا الخليفة
وهو المستظهر بأمر الله ليحرضوا الملوك على الجهاد واستنقاذ بيت
المقدس من يد الافرنج فلم يغن ذلك شيئا ووقع الخلف بين ملوك
السلجوقيين فتمكن الافرنج من بلاد الاسلام ولاسيما الساحل
الشامي فملكوا يافا وقيسارية وغيرهما وقائدهم هو بردويل
الافرنجي ويسمى غودافرو ثم في سنة احدى عشر وخمسمائة قصد أخذ
مصر ودخل غزة وأخربها ثم مرض وهلك فرجع الجيش الى القدس
ودفنوه بالقمامة وبقي بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد

الأفرنج الى ٥٨٣ه وعجز ملوك المسلمين عن انتزاعه منهم بسبب تفرقة
كلمتهم ومحاربتهم لبعضهم حتى أذن الله سبحانه وتم بفتحه على
يد من اختاره ووفقه لهذا الخير العظيم وهو السلطان يوسف صلاح
الدين بن أيوب أسكنه الله فسيح الجنان وصب على جدثه صبيب
العفو والغفران آمين

الباب الثالث في أحواله وتقلباته من ابتداء الفتح الصلاحي الى سنتنا
الهجرية الحالية التي هي سنة الف وثلاثمائة واربع وثلاثين هجرية
وفي السيرة الصلاحية الايوبية وفيها أربعة وعشرون فصلا

الفصل الأول في مولد السلطان صلاح الدين الى أن شب وترعرع

اعلم انه قد اتفق المؤرخون على أن اباه وأهله من دُوَين وهي
بلدة في آخر عمل اذربيجان وأنهم اكراد روادية والروادية
بطن من الهذانية قبيلة كبيرة من الاكراد فهو صلاح الدين بن أيوب
ابن شادي ابن مروان ولا يعرف نسبه فوق ذلك وأما ما
ذكره صاحب تاريخ حلب ناقلا عن المعز اسماعيل بن سيف الاسلام
ابن أيوب ملك اليمن انه ادعى نسبا في بني أمية فهذا نكره
صلاح الدين لما سمعه ومولد والد صلاح الدين بقرية اجدانقان
وهي قرية على باب دوين وذلك ان جده شادي رحل
بولديه ايوب وشيركوه الى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت
ومات بها شادي ثم ان والده أيوب صار واليا عليها
وولد له صلاح الدين بها سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة
وتوفي بدمشق ٥٨٩ه فيكون عمره رحمه الله تعالى ثمانية وخمسين
سنة ثم انتقل والده الى الموصل ومعه أخوه شيركوه

ابن شاذي بن مروان
من مروان ... شيخنا المؤلف

وكانا

وكانا محترمين عند أتابك زنكي ثم انتقل والده الى الشام ثم
أعطى امارة بعلبك ومعه ولده صلاح الدين

الفصل الثاني في تقديم السلطان نور الدين له في الوظائف وايثاره
على غيره

ولما صار الملك الى الملك الصالح نور الدين محمود زنكي لازم خدمته
والد صلاح الدين أيوب وولده صلاح الدين ورأى نور الدين
أمارات التوفيق والخير تلوح على صلاح الدين فرغب في تقدمه
وايثاره على غيره ومنه تعلم صلاح الدين طرق الخير والصلاح
والاجتهاد في امور الجهاد حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه
للديار المصرية لما أرسله نور الدين ٥٥٩ه وذلك ان الملك
المنصور اللخمي المنذري لما استولى على الديار المصرية وقهر أميرها
شاور وهو وزيرها من قبل المصريين الفاطميين في زمن الخليفة
العاضد لأمر الله فر شاور الى الشام واستغاث بالسلطان
نور الدين محمود زنكي فأعانه بجيش قائده الأمير أسد الدين
شيركوه عم صلاح الدين وكان ابن أخيه صلاح الدين في خدمة
عمه وهو كاره لذلك وكان نور الدين يعتمد على شيركوه لشجاعته
وأمانته وجعل شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره
وشاور معهم فخرجوا من دمشق في جمادى ودخلوا مصر واستولوا عليها
في رجب ٥٥٩ه فقتلوا الملك المنصور ولما
واستولى على مصر غدر بشيركوه واستنجد عليه بالافرنج
وحصروه في بلبيس وتخلص شيركوه ومن معه من الحصر وعادوا حصل لشاور الى الشام وافهموا نور الدين ان مملكة مصر مائية بالاوهام مقصوده حين
بغير رجال وحدثوا بالاستيلاء عليها فبلغ ذلك شاور فسعى

الأفرنج الأتفاق على أن يمكنهم من البلاد تمكينا كليا على
أن يعينوه على استئصال أعدائه .

الفصل الثالث في رحلته مع عمه الأمير شيركوه واخذها مصر وزيرها شاور وقتله شاور

ولما بلغ ذلك السلطان نور الدين فخاف على الديار المصرية
أن يملكها الأفرنج وبواسطتها يملكون ما سواها فجهز نور الدين
جيشا وأميره شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين ٥٦٢ هـ فصادف
وصولهم الديار المصرية وصول الأفرنج اليها واتفق جميع
المصريين وشاور والفرنج على حرب جيش شيركوه وجرت
بينهم عدة وقائع هائلة ثم ان نور الدين زنكي جمع الجيوش
في الشام وسار ليلا والفرنج فبلغ الفرنج ذلك فخافوا
على بلادهم وتساهلوا في الأمر وكذلك شيركوه تساهل
لتعب عسكره وجرت بينهم معاهدة على أن ينصرف الفرنج
عن مصر ورجع شيركوه بمن معه الى الشام في ذي القعدة
٥٦٢ هـ ثم ان الفرنج نقضوا العهود وجمعوا الجموع للاستيلاء
على مصر فعندها سير نور الدين شيركوه واخوته ورجاله
وصلاح الدين وكان صلاح الدين غير مشروح لتلك الرحلة
ولكنه مكره لاجل عمه وهذا معنى الآية الشريفة وعسى أن
تكرهوا الآية ولما علم شاور بمسير الأفرنج الى مصر على
ما نووه كتب الى نور الدين وشيركوه يستنجدهما ويستصرخهما
فعندها جدوا في المسير فوصلوا مصر قبل الفرنج في ربيع الأول
٥٦٤ هـ ولما بلغ الفرنج وصول شيركوه وجيشه الى مصر على

اتفاق

اتفاق بينه وبين أهلها ابسوا ورجعوا الى بلادهم وأقام شيركوه
في البلاد يتردد اليه شاور في الأحيان وكان وعدهم بأموال في مقابلة
ما خسروه ولم يوصل اليهم شيئا ورآه يلعب بهم تارة وبالأفرنج
أخرى وتحقق شيركوه انه لا يستولي على البلاد مع بقاء شاور
فاتفق ان شاور حضر الى شيركوه فتلقاه واخذ بتلابيبه
وأمر العسكر بقصد رجاله ففروا وقيده بخيمة وفي الحال ورد
توقيع خاص من جهة الخليفة العاضد بطلب رأس شاور على عادتهم
في وزرائهم فعندها حز رأسه وأرسله اليهم فسيروا اليه
خلع الوزارة فلبسها في ربيع الأول ٥٦٤ هـ وقام آمرا ناهيا وصلاح
الدين يأتمر بأمره الى جمادى الآخرة من السنة المذكورة فمات
شيركوه وقيل ان شاور كان مرتبا الغدر بشيركوه وجماعته
في دعوة يدعوهم اليها فبلغ ذلك صلاح الدين وبعض الأمراء
فعندها قبض عليه صلاح الدين وبعض رفقائه وقيدوه
عندهم فورد الأمر اليهم من الخليفة العاضد لأمر الله بقتله
فعندها قتلوه وسيروا رأسه الى العاضد

الفصل الرابع في موت عمه الأمير شيركوه واستقرار الوزارة لصلاح الدين نائبا عن السلطان نور الدين زنكي

ولما مات أسد الدين شيركوه استقر الأمر للسلطان
صلاح الدين بمصر على أحسن الأوضاع وشكر الله تعالى وبذل
الأموال وملك القلوب ولازم فعل الخير الى آخر حياته رحمه
الله تعالى قال صلاح الدين لما تفضل الله علي بالديار المصرية
وقع في قلبي تخليص الساحل الشامي من الأفرنج وكذلك ما
زال يشن الغارات عليهم في الكرك والشوبك وغيرهما

ولازم رحمه الله تعالى مجالسة أهل الفقه والدين والتصوف
وقد جمع الله المسلمين على محبته وطاعته لما تحققوه من عدله
وحسن سيرته وكمال أخلاقه وكرمه ولما علم الفرنج تمكنه
من الديار المصرية تحققوا انه يطردهم عن البلاد الشامية
وساحلها لما ظهر لهم من اجتماع المسلمين على أمره وعلو
همته وشأنه فاتفقوا مع الروم وساروا جميعاً الى دمياط
وحاصروها ولما سمع بذلك افرنج الشام قويت عزائمهم
واستولوا على عكة على حين غفلة من نور الدين ولما رأى
نور الدين ذلك نزل على الكرك محاصراً لها فقصده فرنج
الساحل فقابلهم فلم يقفوا له وبلغ نور الدين موت صاحب
أمره بحلب وخبر الزلازل التي أخربت كثيراً من بلادها
فسار يطلبها وورد عليه خبر موت أخيه قطب الدين با
لموصل فسار اليها ثم ان صلاح الدين استعد وجمع آلات
الحرب والعساكر ووعد الجيش الذي هو في داخل دمياط
بالأمداد لهم ونصرتهم وأن يصبروا وسار بالجيش وشن
الغارات على الفرنج من خارج دمياط وجيشها يقاتلهم من
داخلها ونصر الله المسلمين فرحل الفرنج عنها خائبين وقتل
منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وآلات حربهم.

الفصل الخامس في طلبه لوالده نجم الدين ايوب الى مصر لتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف عليه السلام

ولما استقرت قواعد السلطان يوسف صلاح الدين
طلب والده أيوب الى مصر ليتم عليه نعمة الله وتكون قصته
مشاكلة لقصة يوسف عليه السلام فوصل اليه والده وأجرى

معه من الأدب ما جرت به عادته وألبسه الأمر كله فأبى والده
وقال يا ولدي ما اختارك الله لهذا الا وأنت كفوء له فلا
تغير موضع السعادة فحكم صلاح الدين والده في الخزائن كلها
وان الله سبحانه وتعالى ثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب
عن نور الدين محمود زنكي والخطبة باسم نور الدين أيضاً في
البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن أمره وكان السلطان نور الدين
يكاتب صلاح الدين بالأمير الاسفهسلار ولا يفرده بكتاب
بل يكتب الى الأمير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامراء
بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا واستمال الناس صلاح
الدين بعطاياه وحسن سيرته الكاملة وطلب أموال الأمن الخليفة
العاضد فأعطاها له ومال الناس اليه وأحبوه وطلب صلاح
الدين من نور الدين أن يرسل له أخوته فلم يفعل وقال أخاف
أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد، ثم ان الفرنج اجتمعوا
ليسيروا الى مصر فعندها سير نور الدين العسكر وفيهم أخوة
صلاح الدين ومنهم شمس الدين توران شاه وهو أكبر من صلاح
الدين فقال له نور الدين ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى
أخيك انه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد
فلا تسر فانك تفسد البلاد واحضرك حينئذ وأعاقبك بما
تستحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم مقامي وتخدمه
بنفسك كما تخدمني فسر اليه واشدد أزره وساعده فقال
افعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل بك ان شاء الله تعالى فكان
معه كما قال:

الفصل السادس في أمر السلطان نور الدين له بقطع الخطبة الفاطمية واقامة الخطبة العباسية

ثم انه لما ثبت قدم صلاح الدين في مصر وأزال المخالفين وضعف أمر الخليفة العاضد لدين الله ولم يبق من العساكر المصرية من يذكر كتب نور الدين بن زنكي الى صلاح الدين يأمره بقطع الخطبة الفاطمية العاضدية واقامة الخطبة العباسية فاعتذر صلاح الدين بالخوف من امتناع أهل مصر عن الاجابة لميلهم لدولة الفاطميين المصريين فلم يقبل نور الدين ذلك العذر وارسل يلزمه الزاماً لا فسحة فيه واتفق ان العاضد مرض مرضاً شديداً فأمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد واقامة الخطبة للمستضيئ بأمر الله ففعلوا ولم ينتطح فيها عنزان وتوفي العاضد لأمر الله ولم يعلم أحد بذلك وجلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة ونقل أهل العاضد الى مكان منفرد ووكل بهم من يحفظهم وذلك في المحرم ٥٦٧هـ وكان ابتداء دولة العبيدية الفاطمية بافريقية والمغرب بذي الحجة ٢٩٩هـ وكانت مدة اقامتهم بمصر مائتين وثمان سنين وملك منهم أربعة عشر وهم المهدي وابنه القائم بأمر الله والمنصور والمعز والعزيز والحاكم بأمر الله مرجع الطائفة الدرزية وهو الذي ادعى الألوهية بمصر وأرسل وزيره الحمزة الى بعض جبال الشام ووادي التيم فصدقه بعض أهل تلك الجهات ثم تولى بعده الظاهر ثم المستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وهو آخرهم ولما

استولى

استولى صلاح الدين على قصر الخلافة وذخائره الفائقة الحد اختار منه ما أراد ووهب منه ما أراد وباع منه كثيراً وكان في ذلك القصر من الجواهر والأشياء النفيسة ما لم يوجد عند ملك فمنها القضيب الزمرد التي طوله قصبة ونصف والجبل الياقوت الغريد ومن الكتب المنسوبة بالخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد ولما خطب للمستضيئ بأمر الله العباسي بمصر أرسل السلطان نور الدين محمود زنكي يعرفه بذلك فحل عنده أعظم محل وأرسل له الخلع الكاملة وكذلك سير خلعاً لصلاح الدين الا أنها أقل من خلع نور الدين وكان أرسل صلاح الدين شيئاً كثيراً من متروكات العاضد الى بغداد الى المستضيئ بأمر الله

الفصل السابع في حصول نفرة بينه وبين السلطان محمود زنكي نور الدين وما جرى بينهما من المكاتبات وموت نور الدين واستقرار السلطنة لصلاح الدين رحمه الله تعالى

ثم في سنة سبع وستين وخمسمائة أمر نور الدين صلاح الدين بأن يخرج بالجيش المصري الى بلاد الفرنج وينزل على الكرك ووعده بأنه هو أيضاً يخرج بالجيش الشامي ويجتمعان على حرب الافرنج على الكرك فأجاب صلاح الدين أمره وبرز الى خارج مصر ليهيئ الجيش وكتب الى نور الدين بأنه لا يتأخر وعنده هاجس فيه بعض خواصه من الاجتماع بنور الدين وكان نور الدين جمع عسكره وقعد ينتظر وصول الخبر من صلاح الدين بالرحيل ليرحل هو أيضاً فلما لم يأته الخبر سار بجيشه الى الكرك وأقام ينتظر صلاح الدين فلم يجئ بل جاءه منه كتاب يعتذر به عن المسير بسبب اختلال الديار المصرية بسبب شيعة

الفاطميين وانه يخاف عليها من العدو ولأنه بلغه عنهم أشياء فشق
ذلك على نور الدين ولم يقبل منه وعظم عنده وعزم على السفر الى
مصر واخراج صلاح الدين منها فبلغ الخبر الى صلاح الدين فجمع والده نجم
الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي وأهله وسائر الأمراء
وأعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين على أخذ مصر منه واستشارهم
فلم يجبه أحد منهم بشيء فقام ابن أخيه تقي الدين عمر وبعض أهله وقالوا
اذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد فشتمهم والده نجم الدين وانكر
ذلك عليهم واستعظمه وكان ذا رأي وعقل وقال لصلاح الدين أنا
أبوك وهذا خالك أتظن ان هؤلاء يحبوك ويريدون لك
الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رأيت أنا وخالك نور الدين لم
يمكنا الا ان نترجل ونقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا بضرب عنقك
لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا١ فكيف غيرنا، وكل من تراه من الأمراء
والعساكر لو رأى نور الدين وحده لا يسعه الا النزول له وتقبيل
الأرض بين يديه وهذه البلاد له وقد أقامك فيها وان أراد
عزلك سمعنا وأطعنا والرأي أن تكتب اليه كتابا وتقول بلغني
أنك تريد الحركة لأجل البلاد فأي حاجة لهذا يرسل المولى نجابا
يضع في رقبتي منديلا ويأخذني اليك وما ههنا من يمتنع عليك
وقال للجماعة الحاضرين قوموا عنا فنحن مماليك نور الدين
وعبيده يفعل فينا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب اكثرهم
الى نور الدين بالخبر ولما خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال
له أنت جاهل قليل المعرفة تجمع كل هذا الجمع وتطلعهم على
أسرارك فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه عن

١ البلاد

البلاد جعلك مقصوداً أو أهم أموره ولو قصدك لم تر معك
من هذا الجمع أحداً وكانوا اسلموك اليه وأما الآن بعد هذا المجلس
فيكتبون له ما قلته في المجلس وتكتب أنت ما قلته لك فاذا سمع
ذلك عدل عن قصدك ولم يجعلك من الخارجين عن طاعته واشتغل
بما هو أهم عنده والأيام تندرج والله تعالى كل يوم في شأن ففعل
صلاح الدين ما أشار عليه والده فلما رأى نور الدين الأمر
هكذا عدل عن قصده وعذره وكان الخير والظفر فيما قاله والده
توفي نور الدين بعد مدة قريبة وملك صلاح الدين البلاد .

الفصل الثاني فيما جرى له من الظفر والفتوحات من موت نور الدين الى ابتداء الفتح المقدسي ووفاة والده بمصر

وفي السنة الآتية خرج صلاح الدين لأخذ الكرك من الافرنج
وبدأ بالقرب منها ولقطع الفرنج المقيمين بها الطريق على القوافل
السالكة بين مصر والشام حتى يحتاج الأمر الى أن يخرج صلاح
الدين بنفسه لتسيير القوافل فحاصرها في هذه السنة وجرى بينه
وبين الفرنج عدة وقائع ولم يظفر منها بشيء فرجع الى مصر ووجد
والده متوفيا في غيبته وفي تلك السنة خرج عليه عبد النبي ابن مهدي
باليمن وملك اكثر حصونها وبلادها فارسل اليه أخاه توران
شاه بالجيش فقتله واسترجع اليمن منه وخرج عليه أيضا رجل
يقال له الكنز بأقصى الصعيد جمع خلقا كثيرا لاعادة الدولة
المصرية وكان أهل مصر يودون ذلك فانضافوا الى الكنز
المذكور فجهز صلاح الدين جيشا عظيما وجعل مقدمه أخاه الملك

العادل وسار اليهم وشتتوا شملهم وذلك سنة سبعين وخمسمائة
ثم تحقق صلاح الدين ان ولد نور الدين الملك الصالح صغير لا
يستقل بالأمر ووقع اختلال في البلاد الشامية فحينئذ رحل الى
دمشق وتسلمها وتسلم قلعتها بدون حرب وفرح الناس به
وفرق أموالا عظيمة ثم استولى على حمص وحماه وحلب بعد وقعة
وقعت بين صلاح الدين وبين سيف الدين غازي صاحب
الموصل وأخيه عز الدين مسعود انتصر فيها عليهما صلاح الدين
واستولى على ماردين وعزاز ومنبج وظفره الله تعالى بالاسماعيلية
ثم أقام أخاه توران شاه نائبا على دمشق ورجع صلاح الدين
الى مصر سنة اثنين وسبعين وخمسمائة وأقام بها ثم تأهب لغزو
الفرنج وخرج يطلب الساحل حتى لقي الأفرنج في الرملة وجرت
وقعات كانت الكسرة فيها على المسلمين ولم يكن لهم حصن يلجأون
اليه لماذ واوضلوا الطريق وأسر منهم جماعة وأقام صلاح الدين
بمصر حتى لم شعث جيشه من هزيمة الرملة فوصله رسول قليج
ارسلان صاحب الروم يلتمس الصلح مع صلاح الدين ويستنجده
على الأرمن فعزم على نصر قليج أرسلان على الأرمن وتوجه
بالجيش وأخذ أيضا عسكر حلب ونصره الله على الأرمن
فصالحوه وسأله قليج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم فأ
جابه ودخل في الصلح قليج أرسلان والمواصلة ثم رجع صلاح
الدين الى مصر ٥٧٦هـ ثم توفي الملك الصالح بن نور الدين زنكي
في التاريخ المذكور في ٥٧٩هـ

الفصل التاسع في فتح الموصل ومرضه رحمه الله تعالى

وفي ٥٧٩هـ جعل صلاح الدين ولده الملك الظاهر نائبا على حلب حيث
سار اليها ثم رجع الى دمشق وكتب الى اخيه الملك العادل يطلبه من
مصر بالعساكر لمحاصرة الكرك فاجتمعا على الكرك فعندها حشدت
الأفرنج جيوشا كثيرة فوق العادة فخاف صلاح الدين على مصر فرجع
عنهم وسير ابن أخيه تقي الدين الى مصر وسار هو الى حصار الموصل
حتى صالحه صاحبها على أن يخطب لصلاح الدين فيها وأن يسلمه عدة
قطاعات من بلادها ومرض صلاح الدين حتى يئسوا منه ثم عافاه
الله تعالى ثم بعدها حصلت وقعة حطين المباركة على المسلمين يوم السبت
رابع عشر ربيع الأول ٥٨٢هـ وابتدئت وسط الجمعة

الفصل العاشر في فتوح طبريا والوقعة الكبرى بحطين وأسره ملوك الأفرنج مثل الانبراطور جفري وأخيه ملك والرنس ارباط صاحب الكرك

وكان صلاح الدين يقصد ذلك كثيرا تبركا بدعاء الخطباء للمجاهدين
فسار بمن اجتمع له من العساكر وفتح طبرية في طريقه في ساعة فعندها
قصده الفرنج والتقى العسكران على سطح جبل طبرية ثم حال الظلام
بين العسكرين فباتا على أهبة الحرب الى صبيحة الجمعة فالتحم القتال
وحمي وطيس الحرب عند قرية لوبية جميع نهار الجمعة ثم حال بينهما ظلام
ليلة السبت وجرى من أهوال القتال في ذلك اليوم ما لم يسطره تاريخ
ثم بات كل فريق شاكي السلاح حتى كان صباح السبت الذي بورك
فيه ثار الحرب بين الفريقين وصاح المسلمون صيحة رجل واحد وثبت
الله المؤمنين وأوقع البطش في الأفرنج واحاط بهم عسكر الاسلام
وبالمصادفة كان الوقت في شدة الحر وكان الأفرنج عطاشا والارض

ذات أعشاب كثيرة يابسة فأمر السلطان بإحراق تلك الأعشاب
فاجتمع على الافرنج العطش الشديد وحر الشمس وحر النيران فضاق بهم
الأمر ووقع السيف فيهم وأبادهم الله الافرنج قتلا وأسرا وأسر
ملكهم ومن معه وهذه الوقعة من أهم الوقائع المشهورة جدا وكان
من الأسرى الملك جفري وأخوه والبرنس ارباط صاحب الكرك
والشوبك وابن الهنفري وابن صاحب طبرية ومقدم الدبوية
وصاحب جبيل ومقدم الاسبتار وكان السلطان صلاح الدين رحمه
الله قد نذر قتل صاحب الكرك لأنه شديد الأذى للمسلمين حتى
مرة أرسل جيشا الى جهة المدينة بقصد نجيشهم بجسد النبي صلى الله عليه
وسلم الى الكرك فلما وصل الخبر بذلك الى صلاح الدين أرسل من
مصر جيشا عظيما بغاية السرعة حتى ادركوهم قبل المدينة بقليل فقتلوا
من قتلوا والباقي اتوا بهم أسرى الى مصر فأمر صلاح الدين أن
يقتلهم علماء المسلمين فقتلوهم في يوم مشهود وأبقى منهم اثنين ليذبحهما
بيده في منى حين يحج وكان كثيرا ما يقطع طريق القوافل بين مصر وبلاد
الشام ويأخذها ومرة أخذ جماعة في حال الصلح فناشدوه الصلح فقال
ما يتضمن الاستخفاف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلما عرضت الأسارى
على صلاح الدين وصار الناس يتقربون اليه بتقديم ما أسروا من
الفرنج فجلس في خيمة شاكرا الله تعالى على ما انعم به وتفضل واحضر
الملك جفري وأخاه والبرنس ارباط وناول السلطان جفري
شربة جلاب بثلج فشرب منها ثم ناولها البرنس ارباط وهما على غاية
من العطش فقال صلاح الدين للملك جفري أنت الذي سقيته وأما
انا فما سقيته ليكون أمانا له على عادة كرام الأخلاق ان الأسير

اذا

اذا أكل أو شرب ممن أسره يكون ذلك تأمينا له ثم انه عرض على
البرنس ارباط الأسلام فلم يفعل ثم قال له ها أنا انتصر لمحمد صلى
الله عليه وسلم وقرعه على غدره بالقوافل المارة به ونكثه العهود
وقصده بلاد الحرمين ثم ضربه بسيفه فحل كتفه وتمم قتله من حضر
وجر برجله الى خارج الخيمة فخاف الملك جفري ورعب فأمنه
السلطان وسكن روعه وقال له لم تجر عادة الملوك بأن يقتلوا
الملوك واما هذا فقد تجاوز الحد وتجرأ على الأنبياء وقد استولى
المسلمون على الصليب الأعظم الصلبوت الذي اذا رفع سجد له
كل نصراني لكونه اشتمل على الخشبة التي صلب عليها المسيح وكان
أخذه عندهم أشد من أسر الملك ثم استلم قلعة طبرية وقتل
جانبا من الأسرى وأرسل الملك جفري وأخاه ورؤساء الفرنج
الى قلعة دمشق ثم نزل عكا وتسلمها صلحا واستنقذ الأسارى
المسلمين الذين فيها وكانوا أربعة آلاف أسير واستولى فيها
على ذخائر وأموال لا تحصى وفرق عساكره ففتحوا نابلس
وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة لخلوها من الرجال
ولهلاك عساكر الافرنج وفتحوا أيضا صيدا وبيروت وجبيل
وتبنين والرملة وداروم وغزة وبيت جبريل والنطرون
وعسقلان في جمادى الآخرة ٥٨٣ﻫ وكان تملكها الافرنج خمسا
وثلاثين سنة

الفصل الحادي عشر في الفتح الثاني لبيت المقدس

ولما فتح الله له البلاد المحيطة بالقدس جمع العساكر وقصد فتحها
فنزل عليها نصف رجب ٥٨٣ﻫ في الجانب الغربي وكان فيها

من المقاتلة من الفرنج نحو ستين ألفا أو يزيدون وأخذ
عسكره ينقب السور من جهة وادي جهنم وضيق عليهم با
لقتال والحصار وتحقق الفرنج أنهم هالكون حين تهدمت
غالب الأسوار وظهر للفرنج امارات انتصار المسلمين
عليهم وأخذ المدينة منهم وتمكن منهم الرعب بسبب ماجرى
عليهم من الوقائع السابقة فعندها أرسل الأفرنج ابن
بارزان يطلب الأمان فلم يجبه السلطان وقال لا آخذها
الا بالسيف كما أخذها الفرنج فتعرضوا للتضرع وعاودوه
وذكروا ماهم عليه من الكثرة وانهم ان أيسوا من الأمان
استماتوا وخربوا الدور وقبة الصخرة والأقصى وقتلوا
الأسارى من المسلمين وهم ألوف وانهم يعدموا الأموال
التي عندهم والذراري فعندها شاور السلطان صلاح
الدين من يعتمد عليهم في مشورته فأشاروا بالصلح فاصطلحوا
على أن يسلم كل رجل عشرين دينارا والمرأة خمسة دنانير
والصبي دينارين ومن عجز عن الأداء كان أسيرا وبذل
ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء وتسلموا
البلد قبل الظهر يوم الجمعة ليلة المعراج السابع والعشرين
من رجب وشهد هذا الفتح جمهور عظيم من علماء
الاسلام وصلحائهم فدخلوها بالتهليل والتكبير والدعاء
والصلاة على البشير النذير وصليت فيه الجمعة وخطب
القاضي محي ابن الذكي خطبة تليق بالمقام والحال وكتب
القاضي الفاضل الشهير رسالة على لسان السلطان

صلاح

صلاح الدين الى الخليفة العباسي وهو الناصر لدين الله الى
بغداد وهي رسالة فصيحة بليغة تتضمن الفتوح ونكس الصليب
الذي على ظهر قبة الصخرة وكان شكلا عظيما وعملت الشعراء
عدة قصائد بذلك الفتوح العظيم وأظهر السلطان من الرحمة
والعفو والاحسان والمعروف ما اعترف له به اعداؤه وشكروه
مدى الدهور ومن ذلك قصيدة عملها أبو محمد عبد الرحمن
ابن مفرج النابلسي وهي مائة بيت وزيادة أولها:

هذا الذي كانت الأيام تنتظر   فليوف لله أقوام بما نذروا

الخ وافرج عن الأسارى من المسلمين وكانوا خلقا كثيرا وفرق أموالا
كثيرة على الأمراء والعلماء والعساكر ثم سار الى جهة صور ولم
يتيسر فتحها بسبب شدة الأمطار والبرد الشديد فسار الى عكه
وأقام بها بضعة أيام وقد بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار
وعسكر الموصل الى حلب قاصدين خدمته فسار صلاح الدين الى
دمشق واجتمع بهم وقصدوا انطرسوس ففتحوها ثم افتتحوا جبلة
واللاذقية يوم الجمعة في الخامس والعشرين من جمادى الأولى
٥٨٤ه وغنم المسلمون غنائم عظيمة وفتحوا صهيون وبكاس وبلاطنس
وقلعة الشغراء وبرزيه ودربساك وبغراس وانطاكية
وسأله ولده الملك الظاهر أمير حلب أن يدخل حلب فدخلها
وبات بقلعتها ثلاثة أيام ثم سار الى حماه وبات عند أميرها
تقي الدين عمر ابن أخيه ليلة ثم سار الى دمشق ومنها الى صفد
وقاتلها الى أن تسلمها وفي شهر رمضان سلمت الكرك لأن
سعد الدين كمشه صهر صلاح الدين ضيق عليها الحصار فكاتب

أهلها الملك العادل و سلموها بالأمان و فتحت كوكب حربًا في
منتصف ذي القعدة و سار صلاح الدين الى القدس و بصحبته أخوه
الملك العادل في ثامن ذي الحجة و دخل القدس وحده وصلى فيها
عيد الأضحى و توجه أخوه الى مصر ثم توجه صلاح الدين الى عسقلان
ثم الى عكا و أصلح شؤونها ثم سار الى دمشق و منها الى الشقيف
وقاتل أهلها قتالًا شديدًا وكان صاحب الشقيف من أكبر
الافرنج و أعقلهم فنزل و وقف على خيمة صلاح الدين فأذن
له فتكلما بالعربية و ذكر أمير الشقيف لصلاح الدين انه مملوكه
وتحت طاعته وانه يسلم اليه البلد بغير تعب و اكلا سوية و شرط
على صلاح الدين أن يعطيه موضعًا يسكنه بدمشق و شروطًا أخر
ثم ظهر لصلاح الدين ان جميع ما قاله أمير الشقيف مكر و خديعة
فسيره صلاح الدين الى دمشق مهانًا وجائه الخبر بفتح الشوبك
وخبر آخر بقصد الافرنج عكا و بمجيء الأمداد لهم من البحر وانهم
افتتحوها عنوة وأنهم قصدوا عسقلان فسار السلطان صلاح
الدين اليهم وتقاتلوا ثم وضع السلطان ولده الملك العادل
قبالة الافرنج وسار الى عسقلان وخربها لئلا تصلها الفرنج
مركزًا لهم ويستعينون بذلك على أخذ القدس و قطع
طريق مصر على المسلمين وذلك في اثناء رمضان ٥٨٧هـ وصعب
ذلك على صلاح الدين جدًا ولكن وجد أنه لا بد منه لكف
شر الفرنج و رحل أهل عسقلان عنها و أمر أيضًا بهدم قلعة
الرملة و بلدة لد للمصلحة السابقة

الفصل الثاني عشر في مصالحته مع الافرنج الصلح الأخير

ثم

ثم ان الفرنج لما تحدث شواسع الملك العادل وطلبوا الصلح على
أن يسلموا جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان ان في ذلك
مصلحة للمسلمين لكثرة ضجرهم من توالي الحروب المدد الطويلة
و لكثرة الديون التي عليهم فأذن لأخيه الملك العادل بالقبول
و فوض اليه الأمر وكان رأيه عدم الصلح ولكن غلب على الصلح
فتم الصلح يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان
وثمانين وخمسمائة و نادى المنادي ان البلاد الاسلامية
والنصرانية واحدة فمن شاء دخل من هذه الى هذه والعكس
بغاية الأمن والمسالمة ففرح الفريقان فرحًا ما عليه من مزيد
وكان يومًا مشهودًا وكانت المصلحة فيما قضاه الله تعالى وقدره
لأن وفاته اتفقت بعد الصلح بيسير ولو كانت اثناء الحروب
لكان الاسلام على خطر

الفصل الثالث عشر في وفاته تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته

ثم ان صلاح الدين سار الى القدس ثم الى دمشق وفيها أولاده
الملك الأفضل والملك الظاهر والملك الظافر وأولاده
الصغار وكان يحب الاقامة بدمشق أكثر من غيرها ثم حضر
من جهة الكرك الملك العادل فخرج صلاح الدين و تلقاه
نحو مرحلة عن دمشق ثم خرج أيضًا لملاقاة الحاج منتصف
صفر ٥٨٩هـ وكان ~~يوم موته يومًا لم يصب المسلمون بمثله~~ آخر
ركوبه ثم مرض مرض الحمى وتوفي الى رحمة الله و رضوانه في يوم
الاربعاء السابع والعشرين من صفر ٥٨٩هـ وكان يوم موته
يومًا لم يصب المسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين وغشي

الناس والبلد والقلعة وحشة لا يعلمها الا الله تعالى وود
كثير من الناس لو يفتدي بأرواحهم لجادوا بها وبكى عليه
الكبير والصغير والعالم والخاص ودفن رحمه الله تعالى في
قلعة دمشق حتى بنيت له قبة في جوار الجامع الأموي ومدرسة
العزيزية التي بناها ولده الملك العزيز فنقل وكتب القاضي
الفاضل ساعة موته كتابا الى ولده الملك الظاهر صاحب
حلب رسالة تعزية مضمونها لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة ان زلزلة الساعة شيء عظيم كتبت الى مولانا
السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاه وجبر مصابه
وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون
زلزالا شديدا وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب
الحناجر وقد ودعت أباك ومخدومي وداعا لا تلاقي
بعده وقد قبلت وجهه عني وعنك وأسلمته الى الله تعالى
مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضيا عن الله عز وجل ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبالباب من الجنود
المجندة والأسلحة المغمدة ما لا يدفع البلاء، ولا ملك يرد
القضاء، وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول الا ما يرضي
الرب وانا عليك يا يوسف لمحزونون واما الوصايا فما يحتاج
اليها والآراء فقد شغلني المصاب عنها واما لائح الأمر
فانه ان وقع اتفاق فما عدمتم الا شخصه الكريم وان كان
غير ذلك فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول
العظيم والسلام، وكتب القاضي الفاضل على قبر المرحوم

صلاح

صلاح الدين بعد تاريخ وفاته اللهم فارض عن تلك الروح
وافتح لها أبواب الجنة فهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح.

(الفصل الرابع عشر فيما له من الآثار الخيرية والمدارس والأوقاف)

ثم انه لما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن
بها شيء من المدارس لأن الفاطميين لم يكونوا يقولون
بشيء من ذلك فعمر المدرسة التي بجانب الامام الشافعي
وبنى المدرسة التي تجاور مشهد السيد الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعل عليها وقفا كبيرا وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين
خانقاه ووقف عليها وقفا طويلا وجعل دار عباس ابن
السلار مدرسة للحنفية وجعل عليها وقفا جيدا كبيرا وجعل
أيضا بمصر المدرسة المعروفة بزين التجار وقفا على الشافعية
وجعل لها وقفا عظيما وبنى بالقاهرة مارستانا وله وقف
جيد وله في القدس الشريف المدرسة الصلاحية الشهيرة
التي جعلها الوزير الخطير جمال باشا قائد الحملة المصرية كلية
اسلامية وأقر فيها مهمات العلوم العقلية والنقلية من
الرياضية والالهية والطبيعية وتقام فيها الصلوات الخمس
وجعل لها وقفا جيدا وله فيها أيضا خانقاه وله أيضا بمصر
مدرسة للمالكية ومن علامات سعادته رحمه الله تعالى
ان هذه المدارس الموجودة في مصر لا تنسب اليه في الظاهر
بل اشتهرت بألقاب أناس آخرين وهذه صدقة السر على
الحقيقة وله بدمشق بجوار البيمارستان مدرسة تسمى بالصلاحية
أيضا وله مدرسة للمالكية ~~وكان يميل الى الفواضل والكمالات~~

الفصل الخامس عشر في ميله للفضائل والكمالات وجانب مما مدحه به الفضلاء والشعراء

وكان رحمه الله تعالى يميل الى الفواضل والكمالات ويستحسن الأشعار
الجيدة ويرددها في مجالسه وكان كثيراً ما ينشد قول أمير المؤمنين
من الأندلس

وزارني طيف من أهوى على حذر   من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً   وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي   نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

وكان أيضا يعجبه قول ... الملك في خضاب الشيب وهو حسن

وما خضب الناس البياض لقبحه   واقبح منه حين يظهر ناصله
ولكنه مات الشباب فسودت   على الرسم من حزن عليه منازله

قالوا فكان اذا قال مات الشباب يمسك كريمته وينظر اليها
ويقول أي والله مات الشباب وكتب رحمه الله تعالى الى بعض أصحابه
في مبدأ ملكه الى دمشق

أيها الغائبون عنا وان كنتم لقلبي بذكركم جيرانا
انني مذ فقدتكم لا أراكم   بعيون الضمير عندي عيانا

ولقد مدحه جميع شعراء عصره بقصائد كثيرة يطول شرح ذكرها جدا
فنذكر منها شيئا يسيراً فمنها قصيدة ابن التعاويذي الشهيرة التي أولها
ان كان دينك في الصبابة ديني   فقف المطي برملتي يبرين
والثم ثرى لو شارفت بي هضبة   أيدي المطي لثمته بجفوني
وانشد فؤادي في الظباء معرضا   فبغير غزلان الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام وانما   غالطت عنها بالظباء العين
لله ما اشتملت عليه قبابهم   يوم النوى من لؤلؤ مكنون
من

من كل ناعمة على أترابها   في الحسن غائبة عن التحسين
خود ترى قمر السماء اذا بدت   ما بين سالفتيها وجبين
ان تنكر وانفس الصبا فلانها   مرت بزفرة قلبي المحزون
واذا الركائب في الجبال تلفتت   فحنينها لتلفتي وحنيني
يا سلم ان ضاعت عهودي عندكم   فأنا الذي استودعت غير أمين
أو عدت مغبوناً فما انا في الهوى   لكم بأول عاشق مغبون
قيما فقد عنف الفراق بمطلق العبرات في أسر الغرام رهين
مالي وو صل الغانيات أرومه   ولقد نجلن علي بالماعون
وعلام أشكو والدماء مطاحة   بلحاظهن اذا لوين ديوني
هيهات ما للبيض في ودامرئ   ارب وقد أربى على الخمسين
ومن البلية أن تكون مطالبي   جيد وبخيل اوفاء خؤون
ليت الضنين على المحب بوصله   لقن السماحة من صلاح الدين

وأيضا لابن التعاويذي

حتام أرض في هواك وتغضب   والى متى تجني علي وتعتب
ما كان لي لولا ملالك زلة   لما مللت زعمت أني مذنب
خذ في أفانين الصدود فان لي   قلبا على العلات لا يتقلب
أتظنني أضمرت بعدك سلوة   هيهات عطفك من سلوي أقرب
لي فيك نار جوانح لا تنطفي   حزنا وماء مدامع ما تنضب
أنسيت أياما لنا ولياليا   للهو فيها والبطالة ملعب
أيام لا الواشي يعد ضلالة   ولهي عليك ولا العذول يؤنب
قد كنت تنصفني المودة راكبا   في الحب من أخطاره ما أركب
واليوم اقنع أن يمر بمضجعي   في النوم طيف خيالك المتأوب

ما خلت أن جديدا أيام الصبا — يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى — سار الدجى وانجاب ذاك الغيهب
ونافر البيض الحسان فأعرضت — عني سعاد وأنكرتني زينب
قالت وريعت من بياض مفارقي — ونحول جسمي بان منك الأطيب
أن تنفني سقمي فحرصك ناحل — أو تنكري شيبي فثغرك أشنب
الخ وبعده

يا طالبا بعد الشباب غضارة — من عيشه ذهب الزمان المذهب
أتروم بعد الأربعين وعدها — وصل الدمى هيهات عز المطلب
لولا الهوى العذري يا ذا الهوى — ما هاج لي طربا وميضه خلب
كلا ولا استجديت أخلاف الندى — وندى صلاح الدين هام صيب
ومدحه العماد الثاني المشهور بقصيدة طويلة فمنها قوله
أرى النصر معقودا برايتك الصفرا — فسر وافتح الدنيا فأنت بها أحرى
ومنها

يمينك فيها اليمن واليسر في اليسرى — فبشرى لمن يرجو الندى منهما بشرى
ومدحه الشاعر المشهور ابن الشيخ المصلي بقصيدة نحو مائة وثلاثة عشر بيتا
منها: سلام مشوق قد براه التشوق — على جيرة الحي الذين تفرقوا
ومنها: وإني امرؤ أحببتكم لمكارم — سمعت بها والأذن كالعين تعشق
ومنها: وقالت لي الآمال إن كنت لاحقا — بأبناء أيوب فأنت الموفق
ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق
الله أكبر جاء القوس باريها — ورام أسهم دين الله راميها
فكم لمصر على الأمصار من شرف — بآل يوسف فهل أرض تدانيها

فيا بني يعقوب هزت جيدها طربا — ويا بني أيوب هزت عطفها تيها
قل للملوك تخلّي عن ممالكها — فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها
فلما أنشدها إياه أمر له بألف دينار ولقد قصدته الشعراء والفضلاء من كل فج عميق كما قيل: يحوم حول ذراه العالمون كما
ترى الحجيج ببيت الله معتركا

الفصل السادس عشر في صبره على مكابدات المصائب وتحمله الأمور الصعاب وحلمه واحتسابه

ثم إنه لما حوى في حسنه أخلاقا فمرتبة عظيمة وصبره فلنذكر نبذا من صبره واحتسابه في الجهاد ومن حلمه وعفوه وحفظه على أسباب المروآت باختصار فيعلم الواقف عليها مكانة الرجل ودرجته في الفضائل فنقول أما صبره واحتسابه فلقد حدث عنه القاضي ابن شداد أن صلاح الدين اشتد به المرض بسبب كثرة دمامل ظهرت من وسطه إلى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس بل يتكئ إلى جانبه ومع ذلك نزل بخيمة الحرب بعكة ورتب الناس ميمنة وميسرة للقتال وركب من بكرة النهار إلى المساء صابرا على شدة الآلام فسألته متعجبا فقال لي إذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل وهذه عناية ربانية وقال أيضا مرض صلاح الدين فطمع الإفرنج وقصدوا جيش المسلمين جهة الناصرة فركب رحمه الله على مضض وعبى الجيش تعبية الحرب واجتهدت الإفرنج أن يستولوا على نهر الماء والسلطان يساير بالجيش ويقطع بينهم وبين خيامهم وهو يسير ساعة ثم ينزل يستريح ويتظلل بمنديل على رأسه من شدة حر الشمس ولم ينصب خيمة

حتى لا يرى العدو ضعفا الى دخول الليل فأمر العسكر أن يبيت شاكي
السلاح قال ابن شداد فبتنا تلك الليلة وأنا والطبيب نمرضه وهو
ينام ساعة ويستيقظ أخرى من شدة ألمه الى الصباح فركب وركبت
العساكر واحدقت بالعدو فعادوا مخذولة وتبعهم صلاح الدين
بالجيش وباتوا الليلة الثانية كذلك على مرضه وحاله حتى أظفره
الله تع وقال أيضا ينصب المناجيق على صفد في أشد البرد
ليلا والمطر الكثير واذ وصله خبر وفاة ابن أخيه تقي الدين
فأحضر خاصة وأوقفهم على وفاته وبكى بكاء شديدا حتى أبكانا
فقلت أنا استغفر الله من هذه الحالة وانظروا اين أنتم وفيم
أنتم واعرضوا عما سواه فقال صلاح الدين رحمه الله تع نعم استغفر
الله العظيم وجعل يكررها ثم قال لا تخبروا أحدا وغسل عينيه بماء
الورد وكان شديد المحبة لأولاده الصغار صابرا على مفارقتهم
لاعلاء كلمة الله

الفصل السابع عشر في رضاه بمر العيش وتواضعه واكرامه للوافدين عليه وتحمله اذى الناس ومروئته وفرط كرمه

وكان رحمه الله تع يرضى بمر العيش وخشونته مع القدرة التامة
على غير ذلك قال ابن شداد وكان من عادته انه يركب في وقت
الركوب ثم ينزل للطعام ثم ينام ويستيقظ ويصلي ثم نقرأ شيئا
من الحديث والفقه فنزل يوما على عادته وقدم الطعام فقدم
على قصده فقيل له أن وقت الصلاة قرب فعاد وقال نصلي وننام
فتقدم اليه مملوك وعرض عليه حاجة فقال أخرها ساعة فأني
الآن متضجر فقدم المعروض الى وجهه ووضع يده على فم صاحب
الحاجة

الحاجة وقال رجل مستحق يوقع المولى له فقال صلاح الدين ليست
الدواة حاضرة فقال المملوك هذه الدواة في صدر الخركاة وليس
لهذا معنى الا أمره اياه باحضار الدواة لا غير فقال رحمه الله
صدق وقام بنفسه وجاء بالدواة ووقع له فقلت له لقد اقتديت
بالنبي صلى الله عليه وسلم في خلقه فقال رحمه الله ما ضرنا شيئا
قضينا حاجة الرجل وحصل لنا الثواب وكانت طراحته تداس
عند التزاحم عليه لعرض القضايا وهو لا يتأثر ولقد زحمت بغلتي
يوما وركزت حتى ألمته وهو يتبسم وأردت التأخر عنه بسبب
ذلك فما تركني وكان يسمع من المتظلمين أغلظ العبارات
ويلقى ذلك بالبشر وكان كثير المروءة ندى اليد كثير الحياء
مبسوط الوجه لمن يرد عليه لا يفارق الضيف حتى يطعم
عنده ولا يخاطب بشيء الا وينجزه له ويكرم الوافد عليه
ولو كان كافرا ولقد وفد البرنس صاحب انطاكية على خيمته
بغتة وهو عدوه وطلب منه العمق فاعطاه اياها وهي بلاد
كان أخذها منه سنة ٥٨٤ ه ووفد عليه البرنس صاحب صيدا
فاحترمه وأكرمه وأكلا سوية وعرض عليه الاسلام
وذكر له طرفا من محاسنه وحثه عليه وكان يكرم الواردين
عليه من أهل العلم والفضل ويوصينا بأن لا نغفل عمن
يمر من أهل الفضل الا ونوصله له ليحسن اليه ولقد مر
بنا رجل جمع بين العلم والعمل وكان أبوه صاحب تبريز
فأعرض عن ملك أبيه لمسلك الدين فرأى السلطان
واجتمع به لما بلغه من حسن سيرته وعلو شأنه وروى

السلطان عنه حديثا ثم تهيأ للسفر فلمته على عدم وداع السلطان
ومواجهته فقال لا غرض لي بشيء منه سوى رؤيته وقد حصلت
وسافر ولما بلغ السلطان سفره غضب ولامني كثيرًا وقال كيف
يطرق مثل هذا الرجل وينصرف عنا من غير احسان يمسه
فكتبت الى قاضي دمشق وله بما حصل من السلطان من شدة
التأذي فلم أشعر الا وقد جائني ليلا فرحب به السلطان
وأسكنه أيامًا ونوع له المعروف والخلع وأشياء يحملها الى
عياله وتلامذته

الفصل الثامن عشر في رقة قلبه واجماع المسلمين على علو شانه وحسن سيرته

ثم انه قد مثل مرة بين يديه افرنجي أسير خائف مرعوب فسأله
السلطان عن سبب خوفه فأنطقه الله أني كنت أخاف من قبل
أن أرى هذا الوجه وبعد أن رأيته أيقنت بكل خير فرق
له وأطلقه وأكرمه وجاء بعض عسكره اليه بامرأة من الافرنج
تضرب صدرها ضربًا متداركًا فسألها الترجمان عن سبب
ذلك فقالت ان لصوص المسلمين سرقوا البارحة ابنتي
من خيمتي وبت أستغيث ولقد دلوني عليك وانك أرحم
من غيرك ولا أعرف ابنتي الا منك فرق ودمعت عيناه
وأمر بحضورها وأن يدفعوا لمن اشتراها ثمنها فلما أحضرت
ووقع بصرها عليها خرت الى الارض تعفر وجهها بالتراب
وهي ترفع طرفها الى السماء ولا نعلم ما تقول فبكى رحمه الله
وبكى الحاضرون ولقد أبدل النواب كيسين من الذهب المصري
بكيسين من الفلوس فلم يجاز النواب الا بأن صرفهم وكان

حافظا

حافظًا لأنساب العرب ووقائعهم حسن المعاشرة يستفيد منه محاضره
ويسأل ويتفقد من يعرفهم ولا يرى شخصًا الا ويرق له ولا يتيمًا
الا أحسن اليه وسد خلته والحاصل انه لقد أجمع المؤرخون على حسن
سيرته وكمال أخلاقه وعدله ووفائه وعفته وديانته ورحمته
ولاسيما مؤرخوا الأوربيين فانهم ترجموه ترجمة تليق به وذكروا
مسائل وحوادث تدل على علو شانه ومروئته ورأفته وعددوا
مناقب له أجراها معهم في الحروب الصليبية كاعطائه الهدنة لهم
حين نزل بهم المرض وتطبيبه لملكهم مع غاية النصح لهم والصدق
وتطبيب أطبائه لعساكرهم بغاية النصح حتى ان الأوربيين يقدمونه
على مشاهير قوادهم وأمرائهم ويذكرونه بغاية الاحترام والتعظيم
فمن أراد أن يقف على تفصيل فضائله فليرجع الى كتبهم يظهر
له مكانة المذكور ومنزلته وكانت مدة ملكه بالديار المصرية نحو
أربع وعشرين سنة وفي الديار الشامية نحو تسع عشرة سنة وهو
أول الملوك بالديار المصرية بعد انقراض الدولة الفاطمية .

الفصل التاسع عشر في مخلفاته وتقسيم ممالكه على أولاده وأولاد اخوته
وبني عمه) .

ثم ان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى لم يترك في خزانته سوى
ستة وثلاثين درهمًا ناصرية ودينار واحد لا غير وهذا من
سلطان يملك الديار المصرية والشامية واليمنية والموصلية دليل
قاطع على فرط كرمه وعدم حرصه وتمسكه بالعرض الفاني ولم يخلف
دارًا ولا عقارًا ولا بستانًا ولا فرشًا يركبه الا وهو موهوب
أو موعود به وكان محافظًا على صلاة الجماعة ويكثر من سماع الحديث

والعلم وقرائة مختصر الرازي في الفقه وكان لا يحب الا الجد في مجالسه
وأموره وكان اذا عزم توكل على الله صبورًا حليمًا على جانب عظيم
من مكارم الأخلاق كثير التغافل عن كل ما يكره يغضي عمن صدر
منه هفوة ولا يعلمه بها ولا يتغير عليه وكان طاهر اللسان فلا
يذكر أحدًا الا بخير وطاهر المجلس فلا يشتم في مجلسه أحدًا كثير
التواضع واللطف قريبًا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة
محبًا للعلماء وأهل الخير يقربهم ويحسن اليهم محبا للفضائل وخلف
سبعة عشر ولدًا ذكرًا وابنة صغيرة وأخته ست الشام ولقد
أنفقت أموالًا كثيرة عظيمة عند وفاة أخيها وأخاه الملك العادل
وأخاه ظهير الدين سيف الاسلام وجملة أولاد عم وأرحام
واستقر الملك بعد وفاته لولده الأكبر الملك الأفضل دمشق
وتوابعها والديار المصرية لولده الملك العزيز وحلب وما
والاها لولده الملك الظاهر والكرك والشوبك والبلاد
المشرقية لأخيه الملك العادل وحماه وسلمية والمعرة ومنبج لابن
عمه ناصر الدين وبعلبك لابن عمه الملك الأمجد وحمص والرحبة
وتدمر لابن عمه الملك شيركوه ابن محمد شيركوه وبصرى للملك
الظافر ولد السلطان ولولده الملك الزاهر والبيرة وأعمالها
واستقر ملك اليمن لأخيه الملك ظهير الدين سيف الاسلام ثم
بعد تقلبات أحوال انتظمت الممالك الشامية والمصرية والمشرقية
بسلك الملك العادل وخطب له على منابرها وانتصر على الأفرنج
وطردهم عن يافا وافتتحها وطردهم أيضا عن تبنين وذلك في
شوال ٥٩٦ه وفي شهر ربيع الآخر توفي وزير السلطان

صلاح

صلاح الدين القاضي الفاضل الشهير وتوفي العماد الكاتب صاحب
تاريخ الفتح القسي في فتح القدس وكان من خدام السلطان
صلاح الدين ٥٩٧ه وكان بين القاضي الفاضل وبين العماد
الكاتب محاورات فلقيه مرة فقال العماد سر فلا كبا بك
الفرس فقال الفاضل دام علا العماد وهذا مما يقرأ
طردًا وعكسًا وفي سنة ستمائة ٦٠٠ه قصد الأفرنج بيت
المقدس فلم يقدروا على فتتاحه وصالحهم الملك العادل
على يافا وفي ٦١٤ه جائت جيوش كثيرة من الأفرنج وأقاموا
بعكة ونواحيها وأفسدوا ونهبوا ثم ساروا الى دمياط
وأقاموا عليها فخرج اليهم الملك الكامل ابن الملك العادل
وقاتلهم ودفعهم عنها وتوفي الملك العادل في سابع جمادى
٦١٥ه في قرية عالقين قريبًا من دمشق ولما توفي الملك
العادل عاد الأفرنج الى جهة القاهرة واستولوا على دمياط
وأسروا من بها وجعلوا جامعها كنيسة فخاف الملك الكامل
على القدس فأرسل وهدم أسوارها بعد أن كانت
محصنة غاية التحصين وهرب أهلها خوفًا من الأفرنج وتركوا
كثيرًا من أموالهم وباعوا الغالي بأبخس ثمن ووصلت الأفرنج
الى المنصورة فكتب الكامل الى اخوته وبني عمه كتبًا كثيرة
يستنجدهم فحضروا بغاية السرعة بعساكرهم الى جهة المنصورة
ومعارك الحرب دائرة بين الأفرنج وعسكر مصر فقويت
نفوس المسلمين وضعفت همم الأفرنج وكان المسلمون قبل
ذلك بذلوا لهم تسليم القدس وعسقلان والرملة وطبرية

واللاذقية وجبلة وجميع ما فتح السلطان صلاح الدين على أن يسلموا دمياط ويجيبوا الى الصلح فلم يقبل الأفرنج الا بتسليم الكرك والشوبك وثلاثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب اسوار بيت المقدس وبينما الأمر متردد في مسألة الصلح اذ عبر جماعة كثيرة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الأرض التي عليها الأفرنج من بر دمياط وفتحوا فجوة عظيمة من النيل وكان ذلك في قوة زيادته والأفرنج لا خبرة لهم بأمر النيل فتحول تيار ماء النيل الى مخيم الأفرنج وركب تلك الأراضي وصار حائلا بينهم وبين دمياط وانقطعت عنهم الميرة والمدد فهلك منهم خلق كثير جوعا وبعثوا يطلبون الأمان على أن يتنازلوا عن جميع مطاليبهم السابقة ويسلموا دمياط ويعقد واحدة الصلح وكان فيهم عدة ملوك نحو عشرين من كبار ملوكهم منهم صاحب رومة الكبرى فأجابهم الملك الكامل لتضجر عسكر المسلمين من مدة الحرب حيث كان صار لهم فيها ثلاث سنين وزيادة وذلك في السابع من رجب ٦١٨ وتم الصلح ثم في ٦٢٢ توفي الخليفة العباسي وهو الناصر لدين الله الذي فتحت القدس في زمنه .

الفصل العشرون في تسليم الملك الكامل ابن الملك العادل بيت المقدس ومدينة صيدا وعكا للانبرطور فريديكوس الثاني ملك ملك المانيا سنة ست وعشرين وستمائة ٦٢٦

ثم في سنة اربع وعشرين وستمائة وقع تنافر بين الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم صاحب دمشق فكاتب الكامل الأنبرطور

الأنبرطور فريديكوس الثاني ملك ألمانيا بأن تقدم الى عكا ووعده باعطاء القدس فسار الأنبرطور الى عكا وبالاتفاق توفي المعظم ملك دمشق في تلك المدة وجلس محله ولده الملك الناصر صلاح الدين داود ثم في ٦٢٦ وقع بين الملك الكامل والناصر تنافر كبير وقلاقل الى أن سار الكامل بعسكره واستولى على كثير من ممالك الناصر واضطر الى مسالمة الأنبرطور فعندها نهض الانبرطور وتسلم صيدا ثم عكا ثم سار الى القدس وتسلمها باتفاق من الملك الكامل على أن يبقى سورها خرابا وأن لا يتعرضوا لقبة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون المرجوع في الرستاق الى والي المسلمين ويكون للأفرنج من القرى ما هو على الطريق من عكة الى القدس لا غير وتم ذلك ٦٢٦ وملوك بني أيوب قد وقعوا في محاربة بعضهم بعضا وصاروا أحزابا وأعداء بين أن كانوا يدا واحدة وجرت بينهم حروب ووقائع أضعفتهم وسلطت عليهم أعدائهم ثم في ٦٣٥ استولى الملك الكامل ملك مصر على دمشق ثم لم يلبث أياما حتى مرض ومات في ستة رجب تلك السنة وهو الذي بنى القبة التي على الأمام الشافعي وجلس محله ولده الملك العادل ثم ٦٣٦ استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب على دمشق وأعمالها ثم ٦٣٧ اغتصبها منه الصالح اسماعيل أمير بعلبك .

الفصل الحادي والعشرون في استرجاع بيت المقدس وفتحها على يد الملك الناصر ابن الملك المعظم ابن صلاح الدين في ٦٣٧

ثم في ٦٣٧ قصد الناصر صلاح الدين داود وهو ابن أخي الكامل بيت المقدس وكان الأفرنج قد عمروا أسوارها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة وخرب برج داود وذلك بعد

الفصل الثاني والعشرون في اتفاقه مع الأفرنج على بني عمه وارجاعه القدس لهم سنة احدى واربعين وستمائة
صح

أن بقيت في يد الأفرنج احدى عشرة سنة من تسليم الكامل ثم في سنة ٦٤١ وقعت بين هذا الناصر صلاح الدين داود والصالح اسماعيل ابن عمه مع أولاد عمهما من بني أيوب منازعات أدى الأمر الى أن تقوى الناصر بالأفرنج واتفق معهم على بني عمه وتسليمهم القدس بما فيها من المزارات وطبرية وعسقلان قال القاضي جمال الدين ولقد مررت بالقدس اذ ذاك فوجدت القسس قد جعلوا على الصخرة قناني الخمر للقربان فالحكم لله العلي الكبير

الفصل الثالث والعشرون في الفتح الرابع للقدس الشريف على يد الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر ٦٤٢

ثم لما استقر ملك مصر للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ابن العادل أخ صلاح الدين أيوب استدعى الخوارزمية لينصروه على عمه الصالح اسماعيل فسار الخوارزمية ووصلوا الى غزة ٦٤٢ ووصل اليهم الجيش المصري مع أكبر المماليك ركن الدين بيبرس وسار صاحب دمشق وصاحب حمص واتفقوا بطريقهم مع الأفرنج بعكة على قتال جيش مصر والخوارزمية والتقى الجمعان بظاهر غزة فولى عسكر دمشق وحمص والأفرنج وقتل منهم خلق كثير واستولى الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر على غزة والسواحل والقدس الشريف وعلى دمشق وفي ٦٤٤ استولى على بعلبك وفي ٦٤٥ استولى على عسقلان وطبرية وبعدها على الكرك وهذا الفتح الرابع للقدس الشريف هو آخر فتوحاته ويبقى انشاء الله تعالى الى آخر الدوران بأيدي المسلمين فلقد خضعت هذه المدينة لدول كثيرة فاولها للكنعانيين ملكي صادق وهو سام ابن نوح وثانيًا لليبوسيين وثالثًا للاسرائيليين ورابعًا لملوك يهوذا وخامسًا لملوك اشور وسادسًا

وسادسًا لملوك بابل وسابعًا لفراعنة مصر وثامنًا لملوك اليونان وتاسعًا لملوك المكابيين وعاشرًا لملوك الرومان وحادي عشر لأكاسرة العجم وثاني عشر للخلفاء الأمويين وثالث عشر للخلفاء العباسيين ورابع عشر للدولة الفاطمية وخامس عشر للدولة السلجوقية والسادس عشر للصليبيين وسابع عشر للايوبيين وثامن عشر للخلفاء العثمانيين وفقهم الله تعالى ونصرهم فانه بعد انقراض الدولة الأيوبية سنة ١٢٥٠ ميلادية استولى عليها ملوك الجراكسة من ١٢٥٠ الى ١٥١٧ ميلادية وفي سنة ١٤٠٠ قدم تيمورلنك المغولي واستولى على عموم سورية ودخلت القدس تحت حكمه الى أن رجعت المماليك الجراكسة واسترجعت البلاد الى ١٥١٧ استولى عليها وعلى سورية ومصر المرحوم السلطان سليم خان الثاني ثم خلفه السلطان سليمان وهو الذي بنى اسوارها الحالية وفتح لها أربعة أبواب لكل جهة بابًا وفي ١٨١١ احترقت كنيسة القيامة وتجدد بناؤها في السنة الثانية وفي ١٨٣٢ استولى ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا عزيز مصر على عكة وتملك قسمًا كبيرًا من سورية وحينئذ دخلت القدس في حكمه ثم استرجعتها الدولة العلية من ابراهيم باشا بعد حروب شديدة وكانت الدولة تارة تجعل القدس تابعة لايالة صيدا وطورًا تجعل المتصرفية مرتبطة رأسًا بالباب العالي وبعد ١٨٦٠ أقام الباب العالي واليًا في دمشق وصارت القدس متصرفية تابعة لولاية سورية التي مركزها الشام وبعد ١٨٧٠ تعلقت رأسًا بالباب العالي .

الفصل الرابع والعشرون في المآثر المسيحية المشهورة بالقدس

فمنها كنيسة القيامة اسستها الملكة هيلانة وداخلها أماكن

كثيرة متسعة لكثير من الطوائف المسيحية فكنيسة نصف الدنيا مختصة بطائفة
الروم والقبر للجميع بالاشتراك والمكان الذي يقولون جلد فيه
المسيح مختص باللاتين والجلجلة للروم واللاتين وغير أماكن
لغيرهم وأشهرها ابنية المدينة الحديثة المسكوبية وهي كنيسة ودير
للرهبان الروسيين وهي واسعة الارجاء عظيمة البناء من أجل
الأماكن القدسية ولها أرض متسعة ويحيط بها سور من كل الجهات
وهي غربي المدينة وبقربها بركة ماملة المعروفة في التوراة ببركة النبي
حزقيا العليا ويوجد أيضا مدرسة للشماسات البروسيانيات
للبنات وتسمى بطاليتا قومي ومدرسة أخرى للصبيان وتعرف
بمدرسة ايتام سورية ومستشفى داخل المدينة للبروسيانيين
الانجيليين وفيها أيضا كنيسة متقنة البناء للانكليز ولهم أيضا
مدرسة للصبيان في جبل صهيون وفي جنوبي المدينة جبل صهيون
فيه كنيسة حبس المسيح وهي بيد الأرمن وفيها محلات متسعة
لقبول الزائرين والى الجهة الجنوبية من ذلك بركة السلطان المعروفة
بالتوراة ببركة حزقيا السفلي ووادي ابن هنوم ودير ابي
طور وحقل الفخاري وهناك قناة الماء التي توصل الماء الآن
من برك سليمان الى الحرم الشريف وفي شرقي المدينة باب ستي
مريم وبركة حجي ملاصقة به وبالقرب من ذلك تل صغير يقال
انه عنده رجم استفانوس وبالقرب منه كنيسة السيدة مريم
وبستان الجسمانية ووادي قدرون وطظور فرعون المعروف
بالتوراة بنصب ابشالوم وبالقرب منه قرية سلوان وبئر
أيوب وفي خارج المدينة المدرسة المصلبة لطائفة الروم

يعلمون

يعلمون فيها علوما كثيرة من عدة لغات وفي داخل المدينة المدرسة
اليعقوبية وكنيسة مار يعقوب للأرمن ومدرستان
للاتينيين الواحدة للصبيان والأخرى للبنات ولهم مدارس
وكنائس أخر كثيرة يطول شرحها وهذا آخر ما تيسر ذكره
من ترجمة البيت المقدس والمرجو ممن يطلع عليه أن يسبل ثوب
عفوه على ما فيه من الخطأ في البيان وأن يصلح ما فيه من الخلل في
التبيان فان العبد مجمع الزلل والنقصان والسهو والنسيان وصلى الله على سيدنا
محمد العظيم الشان وعلى آله وأصحابه أولي الخصوصيات والامتنان
آمين
وكان الفراغ من نسخ الرسالة المرقومة في شهر رمضان سنة ١٢٢٨ هجرية عن نسخة المؤلف
بقلم تلميذه افقر الورى حسن بن يوسف [illegible]

